



النحو بين الافتيات والافتيات في البحث عن المنهج

د. يحيى بن أحمد العقيلي
أستاذ النحو والصرف المساعد
بكلية اللغة العربية / جامعة أم القرى



"Grammar between Subsistence and Calumny in search of a curriculum"

*Dr.. YAHYA BIN AHMED AL-UQIBI
Assistant Professor of Grammar and
Morphology
College of Arabic
Umm Al-Qura University
dr.yahyaalshareef@gmail.com*



ملخص البحث

في هذا البحث رصد لمقومات التجديد ، وبواعثه في نحو العربية في ضوء الحاجة وإلحاح الدواعي بما يتوافق وأصول العلم، وغاياته، وأحوال نشأته، وفي سبيل ذلك قسّم البحث الدراسات التي تجانب هذا المنهج إلى قسمين، قسم تطرف في تصور معنى التجديد حتى غدا عنده الإحلال والاجتثاث، وقسم مناهض لهذا التصور، يرى العلم في الانكفاء والانغلاق على ما كان دون السماح بما يجب من ضرورة الإضافة وإثراء المعرفة، ثم ارتأى البحث أن الحق واسطة بينهما، وصور ذلك في منهج مقترح يجمع بين المحافظة على الموروث ومقاصده، وبين الإضافة إليه، وتحريك الراكد، وبعث ما درس منه، لتفيد منه الأجيال اللاحقة كما أفاد منه من سبق . كما نبه البحث إلى ضرورة مراعاة غايات العلوم، وأغراضها التي نشأت لرعايتها وتحقيقها، وأن أي إضافة لا تنبع من هذا المعين، ولا تنتمي لتلك المشكاة ليست إلا تجذيرا للمشكلة وتوسيعا للصدع كما أكد البحث ضرورة إرواء عطش العقول بمتابعة البحث في علل وبواعث الأصول وانسجامها وترتيبها وترتيبها على بعضها ... لا أن يكون البحث في كيفية تبديلها وإحلال ما سواها مكانها.

الكلمات المفتاحية : النحو ، التجديد ، تيسير النحو ، الافتيات على النحو ، الافتيات من النحو ، المنهج ،

Abstract

This research monitors constituents of renaissance and its motives in the Arabic Grammar in view of the need and urgency of reasons in line with origins of science, its goals, and conditions of its emergence. For this purpose, the research divides studies on this approach into two sections: On one hand, a section went to extremes in the perception of the meaning of renaissance to the extent of replacement and ablation. On the other hand, a section that opposes this perception, sees science in retreating and closing in on what was without permitting the necessity of addition and enrichment of knowledge. Then the research decides that the right is a middle way between the two sections, and this is depicted in a proposed approach combining preserving heritage and its purposes, adding to it, moving stagnant, and renaissance of what was learned from, so that later generations would benefit as previous generations benefited from it.

The research also draws attention to the necessity of observing goals of science, their objectives that arose to care for and achieve them, and that any addition that does not stem from this spring and does not belong to that niche is nothing but a rooting of the problem and widening of the gap. The research also emphasizes the need to quench the thirst of minds by continuing research into the ills and motives of the origins and their harmony, arrangement and what is based on the other... not to discuss how to replace it with something else.

key words:

Grammar, Renaissance, Simplifying grammar, Calumny on grammar, Subsistence as grammar, Curriculum

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد ...

فإن مما كثر فيه الجدل ، واستطال الخلاف ، واستحر النقاش ، موضوع النحو بين دعاة الأصالة ومبشري التنوير والتجديد ، وكل له حججه ودوافعه ، ويقف وراءه بواعثه ودواعيه ... وفي خضم هذا الصراع المدلهم ، والطعان المشتجر ضاع جزء بل أجزاء من حقيقة النحو العربي ، وأقول العربي لأن هذه الصفة تكاد تنزع منه مع تلاطم موج هذا الصراع ومع كثرة الرد ، وانهماك كل فريق في الإطاحة بخصمه ، بدأنا نفقد معالم ما نريد ، وتنسى غاية هذا الفن ، والغرض الذي نصبت من أجله راياته يوماً من الدهر ، فرأيت أن أسهم بوجهة نظر لا أبرئها من القصور ، ولا أزعم لها الكمال ، أتناول فيها أصل مسألة التجديد وما كمن من بواعثه ، وأنه حقيقة نازلة لا محل لدفعها أو تجاهلها ، وأن ذلك يلزم منه الفطنة والذكاء ، بل ربما الدهاء في التعامل معها ، وتسييرها لصالح العلم ودفع دواليبه ، وبعث ما درس منه بعوامل الزمان وضعف الهمم وحلول البدائل التي ربما كان بعضها يدعّمه فكر لا ينهض حتى يفتت بفتات الثقافة المغلوبة ثم يرمي بها بعيداً عن محطات التاريخ ، وينسب كل ما كان لها يوماً من البروغ والنبوغ إلى شمس هو وأنجمه !!... ولكن أيهاة يتم ذلك ، وفينا نحن خاصة كتاب الله وسنة نبيه ، وسبيل المؤمنين الخالص الصادقين ، فرأيت أن أجلي بعض تلك المسالك التي نشأت على ضفاف نهر النحو العظيم ، واختلفت منازلها ، فمنها ما يريد اسكات موج ذلك البحر ، ومنها ما يشكك أن هذا المورد ليس بمورد وأننا لم نفهم أنفسنا ، ولم نر لغتنا على الحقيقة .. ، وآخر يرى أن هذا المغنم إنما هو له ، وهو أولى به ، وأن لا أحد يفهمه ، أو له الحق في ذلك ، فهو أبداً حكر عليه ، وشأن خاص به .. ، وجعلت أن كل ذلك مما ينبغي تعريته ، وكشف زيفه ، وفضح ستّوقه ، وذلك برد عامة ما فيه من الشبه إلى فكري الغلو فيه ، والجفاء عنه ، وأنهما أبداً سبيلان مشتطان ، ومسلكان فاسدان ، ينشأ كل منهما من صراعه للآخر ، ومدافعتة له ، مع غياب التجرد والصدق ، والبحث عن الحقيقة ، والانطلاق من الثوابت ، والانتفاع بما صح من المتغيرات ، فتلك هي أصول كل تغيير معتبر وإضافة ذات بال بل هي سبيل رسم منهج وسط ارتأيته لتعلم النحو وتعليمه

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يقوم على تمهيد يعقبه ثلاثة مباحث تقفوها خاتمة بأهم النتائج وألحقته بفهارس المصادر والمراجع ، سائلاً الله أن يجعل له من الحق نصيباً وأن يغفر لي عثرات الجنان وسقطات اليراع هو المسؤول والمؤمل وحده والحمد لله رب العالمين .

تمهيد

اعلم متع الله بك إن من دقيق مسائل العلم ولطيف مسالكة أن الله عز وجل حين امتن به على آدم عليه السلام فكان بمثابة خلق آخر جديد له ، قرنه بشرطه ، وربطه بأسه - جل وعز - ذلك الشرط هو الإنباء به والإفصاح عنه ليصح من بعد أن يكون معلوما ، وأن يكون حامله عالما ، وأن يكون أخذه متعلما ، فقال عز اسمه : (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العزيز الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ..)¹ ولما كان من شرط تحقق العلم ووجوده الإنباء عنه والإخبار به وكان شرط كينونة وجوده ، لا شرط كمال وحسن أصبح من لازم ذلك أن يكون مما يتعين فيه التجديد وتتمحض فيه ضرورة الإضافة وإلا لم يكن له تطلع ودوران ولتوقف العلم من أول أمره ولغرب حال بزوغه ، لأنه لو لم يكن يزداد عليه ، ويضاف إليه ، تارة بتفتيق مسألته ، وتارة بجمع متفرقه ، وأخرى بحل مبهمه ، ورابعة بكشف مشكله ... ، لانهصر في أمور بعينها ، وعلم بالكلية ، وتوارد على العلم به كل أحد ، حتى لا يفترق في تحصيله اثنان ، ولانتفى أن يقال له بعد ذلك علم لاشتمال عقل كل عاقل عليه ، ولولا أخذ العلم من هذه الحيثية لنضب وجف ، وكف وانخسف ، قبل أن يبلغ الناس منه شيء ، تلكم هي القاعدة الكبرى المسوغة لمشروع التجديد في العلم وهو في حياة هذه الأمة أكد وهم به أعنى ألا ترى أنه قد جعل من خصائص الكتاب العزيز الذي هو شرع هذه الأمة ونبراسها أنه : لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ولا تشبع منه العلماء؟! ، فكان في ذلك ما يؤذن بهذه المنة ويؤسس لتلك النعمة في سائر العلوم المتعلقة بهذا الوحي الكريم يقول صاحب الكشاف : " اعلم أن متن كل علم طبقات العلماء فيه متدانية إن سبق العالم فيه العالم لم يسبقه إلا بخطى يسيرة وإنما الذي تباينت فيه الرتب وعظم التفاوت إلى أن عد ألف بواحد ما في العلوم من غوامض الأسرار ومحاسن النكت"²

قلت : والانقطاع إلى تلك الأسرار والاستغراق في هذه المحاسن وجوس أقطارها وجوب أرباعها وكشف منقباتها والتنبيه على فاضلها ومفضولها ... كله قوام حركة التجديد الصحيح والتغيير المعبر .

وأريد بهذا المهاد أن أنتهي إلى القول بأن التجديد نحيزة فطر عليها عقل كل عاقل ، ومزية كامنة في سوس كل علم صحيح حي ، فإن من طبيعة العلم والعقل معاً التراكمية والتشاكل والتعقيد التي هي عكس البساطة والسذاجة وعدم التركيز ، وهذه هي مؤهلات التجديد وبواعث الانطلاق ، فإذا انضاف إلى هذا قيام حاجة ، وإلحاح داع كان الباعث الحثيث والدافع القوي ، إذ الحاجات دوافع الاختراعات ، وهنا تفرق الناس أحول أحول ، وغدوا أيدي سبأ ، فما الحاجة؟ وما مقدرها؟ ومن يقدرها؟ ووقع بعد ذلك ما نراه من تخالف في

مفهوم التجديد وتطبيقاته حتى انقسم الناس إلى فسطاطين ، كل منهما ردة فعل للآخر ، فمنعه قوم وجرموه ونزوا الداعي إليه ، وتخذو لذلك مشرعات وحبسوا أنفسهم في تصور آيات فهموها خطأ فأردوا في أنفسهم وأردوا غيرهم وقالوا : { ما يقال لك إلا ما قد قيل }³ ، وليس في الإمكان أحسن مما كان . فانحبس العلم عندهم في شخوص ، وتحنط في طروس لا يتعدها إلى سواها ولا يجوزها إلى ما عداها ، حتى كانوا أضر على العلم من الجهل نفسه ، وفي المقابل غالى قوم في البحث عن الجديد ، واستشراف الغائب فأولعوا بحب الغرائب ، وتلقف الوافدات حتى تنكروا لما هو أصل ، وحتى انخلعوا من كل ربقة ، تتابعوا جرياً وراء البعيد وتطلباً لما لم تره العيون بعد ، دون مكث أو ريث ، وبعضهم ناقص أدوات الفهم وآخر جاهل بالمآلات ، وثالث ذو هوى وصلف ، وقليل منهم ذو قصد سليم ، وظنوا أن العلم إنما هو البحث عن كل ما يحل محل ما ورث وأن المزية أن يبتدع في اصطلاح ما كان ، بحجة تغيير الزمان ، وما تطلبه الأوان ، وأصبح هؤلاء أعداء لكل موروث حتى لو ثبت فضله من كل وجه ... وهكذا شأن من ركب هواه وامتنى رأيه ، ولهذا كان سلف هذه الأمة يحذرون هذا المسلك ولا سيما في أمور الدين وما حمل عليه قال الفاروق رضي الله عنه : " اتقوا الرأي في دينكم"⁴ وقال أخرى : " أهل الرأي أعداء السنن أعيثهم الأحاديث أن يعوها وتفلفت منهم أن يرووها فاشتقوها بالرأي"⁵ وهذا كلام عجيب دقيق ، ولقد رأيت عامة من أوغل في التشريب على التراث وعلوم الأمة : " إنما كان هذا كله جهلاً منهم بمواقع الحكمة ومن جهل شيئاً عاداه فلو علموا لحصل الوفاق ولم يسمع الخلاف"⁶ وسترى في هذا البحث ما يثبت أن بعض هؤلاء وصل به الأمر إلى حد بعيد من النيل والتحكم ، والاطراح والتهمك من كل ما هو قديم عتيق .

وقد يقال : إن في هذا الذي تذكره حرجاً شديداً وحجراً وتفتيراً ، فلا المتمسك بما ألقى عليه آباءه لا يعدوه إلى غيره ، ويذم ويهدم من جاء بخلافه هو الممدوح ، ولا هذا الذي تطلعت نفسه لكل ما جد وتاق فكره لكل ما ورد ، إذ ليس واحد منهما مصيباً فكيف يكون ذلك ؟

والجواب عنه : أن الفضيلة دائماً هي الوسطة بين رذيلتين وليس الجافي في الأمر ولا الغالي فيه إلا طرفين مذمومين والحق بينهما ان شاء الله ، بل قد جاءت الملة بدم الذي لا عذر له في الانغلاق إلا متابعة ما عليه آباءه فقال الله : { ما تعبدون قالوا نعبد أصناماً فنظّل لها عاكفين . قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون }⁷ فلم يجيبوا على هذه الأسئلة والإلزامات ، بل انطلقوا إلى محجة باطلة ، وتكية فاسدة فقالوا : { وجدنا آباءنا كذلك يفعلون }⁸ ولقد رأيت كثيراً مما يتحمس للنحو يمنع أن يقال فيه بته بغير ما سطر في كتبه الأول ، وليته

فهم ما فيها على وجهته ، ويعتقد أن أي عمل تريد منه إثراء فكرة ، أو بسط منغلق ، أو حل ملبس ، داخل في باب الأحداث والمبتدعات والأغلوطات وليس ذلك إلا لأنه لم يجدها في كتاب يعتقد أنه هو الذي عليه المعول مع أنها قد تكون في كتب شيوخ ذلك المؤلف الذي يعتمد عليه ولا يرى سواه !! ضيق عطن وشح نفس لا ينكر مهتم أنها نصيب كثير ممن يعد نفسه الحارس الأمين والكالئ القوي لهذه اللغة ، ونتيجة لمداغمة مثل هؤلاء خرج القسم الثاني تدفعهم نظرية الشك ، وتشايعهم اطروحات ديكرت ، وترقى بهم مؤسسات ليس لها من العروبة إلا الاسم والمكان انباعوا بأيديهم المعاول في صورة القلم ، وفي عقولهم المجانيق في لبس الفكر والمثاقفة والانفتاح فجعلوا يسحلون ويمثلون ويتلذذون بسحق كل ما هو منتم أو إلى ركن عتيق ، ففتحوا للواردات كل ما أمروا بإغلاقه في وجهها ، وأعدوا لها متكأ في كل حمى كان حراماً عليها ، وكانوا بذلك عقوبة المسلك الأول .

ولا شك أن الحق بينهما .. الحق نلمسه في قوله تعالى : { وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر }⁹ ، ونراه في قول الإمام الشافعي وهو يرسم المنهاج لأهل اللغة خاصة وهو أصل من أصول الباب ، قال : " وهكذا لسان العرب عند خاصتها وعامتها لا يذهب منه شيء عليها ولا يطلب عند غيرها ولا يعلمه إلا من نقله عنها ولا يشركها فيه إلا من أتبعها في تعلمه منها ومن قبله منها فهو من أهل لسانها"¹⁰ ، ثم اعقل جيداً قوله : (ومن قبله منها فهو من أهل لسانها) لتعلم أنه ما أغلق الباب ولا تحجر واسعاً بل أشرعه وفتحته لكن بشرطه وخاتمه فهل أنتم مبصرون.

نلمس هذا المنهج عند الإمام الشاطبي حين جعل الانتظام في سلك النجاة لا يكون إلا باتباع أهل هذا الشأن من صدر هذه الأمة : " لأنهم عرب لم يحتاجوا في فهم كلام الله تعالى إلى أدوات ولا تعلم ثم من جاء بعدهم ممن ليس بعربي اللسان تكلف ذلك حتى علمه وحينئذ داخل القوم في فهم الشريعة وتنزيلها على ما ينبغي ... فكل من اقتدى بهم في تنزيل الكتاب والسنة على العربية إن أراد أن يكون من أهل الاجتهاد فهو إن شاء الله داخل في سوادهم الأعظم"¹¹ ، هكذا يبشرون بالحق وبه كانوا يعدلون ، يقول كن على مطربتهم ، وجاهد حق الجهاد في مجاهدتهم يصبك من ذلك ما تريد والمرء مع من أحب ، وهكذا لا تجد عند حذاق هذه الأمة انغلاقاً ولا إغلاقاً ولا رهبانية ولا إقصاء ، لكنه المنهج والطريق إن سرت معه اهتديت وإلا فليس يجني المرء إلا على نفسه وأنا أقول هذا الكلام فيمن يتعلم النحو ويعلمه ويعرف أن من ثمراته : " الاستعانة على فهم معاني الكتاب والسنة ومسائل الفقه ومخاطبات العرب بعضهم بعضاً "¹²

لا من يقف به الأمر عند حدود الشهادات وتحصيل الألقاب والعلو في الأرض فالجهة منفكة والطريق متناف .

وقد لزماني من نقد ما أراه من واقع الدرس النحوي أن أحرر لك ما يمكن أن يعود به الأمر إلى الجادة وينتظم على الطريق مما هو واسطة بين الغلو والجفاء ، فلا انغلاق ولا انفتاح وإنما هو : { وابتغ بين ذلك سبيلاً }¹³ واجعل المثال الذي ضربه أئمة التحقيق منك طرف الثمام: " من شأن الجسد إذا كان جائعاً فأخذ من طعام حاجته استغنى عن طعام آخر حتى لا يأكله إن أكل منه إلا بکراهة وتجشم وربما ضره أكله أو لم ينتفع به ولم يكن المغذي له الذي يقيم بدنه ... فالعبد إذا أخذ من غير الأعمال المشروعة بعض حاجته قلت رغبته في المشروع وانتفاعه به بقدر ما اعتاض من غيره بخلاف من صرف نهمته وهمته إلى المشروع فإنه تعظم محبته له ومنفعته به " ¹⁴

ولعل الناظر في هذا البحث يرى أن التركيز على الطائفة التي تزعم التجديد وتدعو إليه كان أكثر من الطائفة الأخرى وهذا صحيح بحسب الحال الداعية وذلك لأمر جد خطير وهو أن ظاهر ما يدعون إليه من التجديد والإحياء والتهيير ... دعوات لا يمكن أن يقف أحد يحب النحو ويجل العربية فيمنعها أو يقول بتغليطها لأنها دعوة حقيقة وأمر مشروع وههنا يكمن الخطر وينبأ السم ، فالدعوة صحيحة ولكن الوسائل والأهداف فاسدة قاتلة ، وهو ما يجب أن يتنبه له ويفطن لأصحابه ، ولا يحملنك سماع لفظ التجديد ، أو ضخ الدماء أو إعادة الحيوية... إلى التصديق والانصياع حتى تسمع ونرى وتلمس ، فكم من دعوة إذا سمعت على ظاهرها لم يخالك شك أنها إنما نبعث من صميم الإحساس بالمسؤولية والسعي وراء تحقيق المصلحة ، وهي إذا طبنت الصل الأسود والشجاع الأقرع ، قال يوماً من أيام الدهر ملك يسوس مملكته بعد أن ورد عليهم وارد لا إلف لهم به : { إني أخاف أن يبذل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد }¹⁵ فإنك إن سمعت هذا القول من ملك يدافع عن مملكته ويدفع لم يقع عندك إلا أنه القوي الأمين والحارس المكين فإذا عرفت أنه فرعون وأن من يريد أن يبذل الدين إنما هو نبي الله موسى ! علمت أن لأهل الباطل اعتناء بما تشابه من الكلام يعاظلون به على الناس ويصرفون أبصارهم إلى باطلهم الذي ألبسوه أودية الحق وكسوه مآزر الصدق ومن هنا كان الوقوف مع طائفة المفتاتين الذين ركبوا دعوات التجديد مطايا ، وبعثوا نداءات الانفتاح سرايا أهم ؛ لاشتماله على كلمة حق أريد بها باطل وهذا هو الدحض المزملة ، الدعوة واحدة ولكن التوجهات والمقاصد شتى ، إذ لا يستوي تجديد محب مشفق ، منتهم معتز ، وتجديد كاره مبغض ، محرابه بعيد وقبلته هنالك وقد امتلأ قلبه حنقاً على لغة يعدها سبباً في تخلف أمته¹⁶ ، وشعاره التجرد والموضوعية !! فإن طالبت بتحقيق هذا عنده وجدته يتمثل في (دراسة اللغة لذاتها)¹⁷ بمعنى سلخ كل ما له علاقة بالتركيبية والتربوية والتميز بين لغة وأخرى لتلحق المرذولة بالعالية والمهجورة بالمشهورة في كونها ظاهرة انسانية !! وكأننا

إنما نعيش في محاكمة وصراعات بين الأسود والأبيض انتهت إلى وجوب إلغاء الطبقية والعنصرية ، وهكذا هم لا يغيرون حتى يكون لهم من جنود اللغة والمصطلح والمفاهيم ما يزيل أي شبهة حولهم ويدمر كل من يحاول اعتراضهم ، والجيد منهم القريب من علوم أمته لم يسلم من أن تسمعه يقول : " ويجب ألا ننخدع بحسن بيان ابن جني " ¹⁸ وأنا أقول : وكذلك يجب ألا ننخدع لكل لأمس وألا نسمع كل هامس ولو كانت شعاراته الموضوعية والمصادقية وليت هذه الحيلة استمرت لكن ما أسرع ما رأيناهم يسلمون القيادة للمدارس الغربية بما تحويه من تخالف وتناقض من منطلقات فكرية لا يمكن أن تتلاقى والعربية ، واجتمعوا مع تفرقهم في عمل بطولي واحد يتعين على الناس فعله وهو انقاذ العربية من أيدي النحاة ، وأنا : " لا بد أن نصحح نهج القدماء ونعيد إلى هذه الدراسة اعتبارها الذي جار عليه تعنت النحاة وتملهم وجهلهم موضوع دراستهم " ¹⁹ وهو كلام من يحسب في الأقربين فكيف تقول في الأبعد الأشق والمبغض الأعق .

أيها القارئ ناشدتك الله ألا تغادر هذا النص حتى تجعل إلى جواره قول الإمام الشاطبي : " سائر أنواع التصرفات العربية قد بسطها أهلها وهم علماء النحو والتصريف وأهل المعاني والبيان ، وأهل الاشتقاق وشراح مفردات اللغة وأهل الأخبار المنقولة عن العرب المبينة لمقتضيات الأحوال " ²⁰ وانظر كيف كان يسلم لهم ويثق ثم اشفعه برقية أبي الفتح لكل مفتون وذلك قوله : " وهذا موضع من الأمر لا يعرف صحته إلا من تصور أحوال السلف فيه تصورهم وراءهم من الوفور والجلال بأعيانهم واعتقد في هذا العلم الكريم ما يجب اعتقاده له و علم أنه لم يوفق لاختراعه وابتداع قوانينه وأوضاعه إلا البر عند الله سبحانه " ²¹ ثم تصيح فيه بكلمة أبي سليمان الخطابي وذلك قوله : " وقد دس لهم الشيطان حيلة لطيفة ، وبلغ منهم مكيدة بليغة فقال لهم هذا الذي في أيديكم علم قصير وبضاعة مزجاة لا تفي بمبلغ الحاجة والكفاية فاستعينوا عليه بالكلام وصلوه بمقطعات منه واستظهروا بأصول المتكلمين يتسع لكم مذهب الخوض ومجال النظر فصدق عليهم ظنه وأطاعه كثير منهم واتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين فيال الرجال والعقول أنى يذهب بهم وأنى يخدعهم الشيطان عن حظهم وموضع رشدهم والله المستعان " ²²

هذا كله إذا كانوا يريدون من كلامهم العربية التي نريد ، عربية أبي عمرو والخليل وسيبويه وصاحب التسهيل ، فأما إن كانوا على غير هذا فليس لهم الحق أن يخرجوا علينا شاهرين ألسنتهم منتظين جرأتهم ليقولوا لنا إن ما بأيدينا من اللغة ما هو " إلا بقايا أخطاء لغات قديمة فصحى أو على تعبير فليشر فتات نخره السوس " ²³ وأنا في مدارسنا وجامعاتنا حين نعلم النحو ونتعلمه فإن أغلب " ما نتعلمه منها خطأ في خطأ " ²⁴ كما يقول بلومفيلد وهو

يتكلم عن نفسه ولغته وتاريخه ثم يأتيك من بين يديه { كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه }²⁵ وما تعلق به من علوم نابغة منه ثم يردد مثل هذا الكلام ويدعو به ويوالي ويعادي عليه !! كيف وصل بنا الحال وكيف استدار الزمان؟!..

وختام هذه التوطئة أقول : التجديد مطلب متعين ومنجز لا إرادي بمعنى أنه حاصل وببقي الشأن أن تجعل هذا التجديد خلافاً بناءً لا تجديد هدم وبلاء وغرق ، وإنما في ذلك بحاجة إلى جرعة من الجرأة لا تبلغ اندفاع المفتاتين ولا تنتهي إلى بطالة المقتاتين وأنا يجب أن نغرس هذا في نفوس ناشئتنا وأن نبين لهم أن حد هذه الجرأة الأدنى أن يجعل الناظر في الفن الذي درست معالمه وخفيت صواه وتهدمت كواه إما بسبب مزاحمة دخيل أو تشاطن أمد أو ضعف شوكة أن يجعل من سدمه ويصرف همته وينتدب غيرته فيعيد إلى ما ذوى رواءه ويجدد فيما انطوى نماءه ، ويفتح أعين جيله عليه وينادي في لداته بحقيقة العلم وصورته الأم الصحيحة العتيقة ، الزرقاء الأنيقة، ولو فعل ذلك فحسبه ، فكيف وفي الإمكان ما هو فوق ذلك من الجهاد في تقريب ذلك الإرشيف الضخم والإرث القيم ، إما باقتحام أسوار اللغة إن كانت تمثل عائقاً أو ببسط وتقريب ما استغلق منها فيشرح ويوضح ويهمش ويقرر .. فإنه بذلك يعيد للعلم شبابه ويشد أطنايه حتى إذا عاد في نفسه ونفوس أهل جيله كما كان عليه أيام من شام أنفاس الشريعة واللغة الصحيحة أو قريباً منه نفح إليهم العلم نفحته وأمكنهم مقادته ، وأفاء عليهم من كل صالحه فإن " الذين عالجوا نقل المعرفة من جيل إلى جيل على الوجه الأفضل والأشمل والأمكن هم الذين طوروها من خلال هذه المعالجة وقد بذلوا في ذلك جهوداً لا تقل عن جهود الذين استنبطوا واستخرجوا ... " ²⁶

المبحث لأول

الافتيات على النحو مفهومه وصور منه .

أولاً : مفهوم الافتيات :

معاني الافتيات في المدونة اللغوية تدور حول معاني الافتراء والإحداث دون علم المفتات عليه أو دون موافقته قال ابن منظور : " وكل من أحدث دونك شيئاً فقد فاتك به وافقات عليك فيه " ²⁷ ، ويقال للمبتدع مفتات ، وافقات الكلام ابتدعه ²⁸ ، ويُهمز فيقال : أفتأت علي الباطل إذا اختلفه ، وبرأيه استبد ²⁹ ، وهو افتعال من الفوت ، وهو السبق إلى الشيء دون إئتمار من يؤتمر ³⁰ . تلك هي حقيقته اللغوية وعلى أنحاء مختلفة تقترب من تلك الحقيقة حتى لتكاد تنطبق عليها تماماً أو تبتعد عنها وتخف حتى لا تلاحظ إلا بتكلف وتعمل عانى النحو منه عناء عرق القربة ³¹ ، ووجد من المتسرعين المتذرعين بدعاوى المواكبة والمرحلة صنوف التحكم وألوانا من تجارب الاستنساخ .. ويمكن أن ترصد ذلك في محاولات أولئك الذين ينادون بضرورة تقديم النحو على وجه يضمن له اليسر والسهولة، ويحقق منه الانتفاع والحاجة، زعموا وأن إنعاش النحو ومهمة إنقاذه باتت لازمة ملحة!! وأن سبيل ذلك إما : إعادة قراءة النحو وفق معطيات الدرس الحديث ³²، أو الاعتماد على المعنى في فهم اللفظ وعلاقاته، وفي تقديم القاعدة النحوية، مما يُفضي إلى تقسيمات وتفريعات يحتاج معها الطالب لحفظها وفهمها أضعاف أضعاف المدة والجهد الذي يحتاجه في التلقي على طريقة النحو التقليدي، ثم إذا هو حفظ ذلك أتراه يحصل وتصل به هذه الطرائق إلى بناء الملكة؟! لم نر لذلك دليلاً، ولم يوقف منه على بيئة !! ، وإما أن يتخذ المنادون طريقاً أخصر وأيسر، وذلك بتفعيل مشرط الجراح على المدونة النحوية، فلا يكون عندهم نُجح ولا فلاح، ولا إفهام ولا إصلاح، إلا إذا حذفنا باب المنادى، أو أسقطنا سيبويه ³³ ، أو اختصرنا التوابع إلى ثلاثة ³⁴ ، أو استغنينا عن الجملة الاسمية ³⁵ !! وأسقطنا العامل اللفظي واكتفينا بالعوامل المعنوية ³⁶!!! ، وهكذا ... اختصار وابتسار ، وضغط وكتم ، لتعود العبارة جوفاء ، لا تُغني ولا تُنقي.

ولا يعني أن كل ما كُتب – ولا سيما عند الطائفة الثانية طائفة نحو المعاني- خالٍ من الصواب ، أو أنه خُلف من القول ، بل فيه صواب وفهم كثير. ولكنني أُصرّ على أن قيمة الشيء إنما تكون بجودة مُخرجاته ، وتحقق ثمراته .. ونحن إلى الآن لم نر أي اتجاه من تلك الاتجاهات السابقة قد جاد علينا بما جاد به النحو القديم، فهل ترون لابن مالك مثيلاً؟ وهل ترون لكتاب سيبويه نظيراً!!! لا على هيئة آثار مكتوبة

، ولا على هيئة علماء نحارير انتهت إليهم الرياسة ، فلم النكول والتراجع؟! لم نستبدل ما يُشك في قيمته بما تُيقن من جودة ثمرته ، وقد قال الفقهاء : اليقين لا يزول بالشك . وقد كنت ولا أزال مستنيم خاطر ، معقود البنان والجنان ، على أن علمًا سطر واضعوه حروفه ، وبجعوا ظروفه ، في عصور قال عنها محمد صلى الله عليه وسلم: (خير أمتي قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم)³⁷ ، هو المنهج الصواب والقبلة والمحراب !! وها هنا بحث يجب إنعام النظر فيه ، وهو أن أصول الدين وكليات الشريعة ، - ويصح فيما نحن فيه من كل وجه-، قول الفقهاء : " القديم يُترك على قدمه ، ولا يُغيّر إلا بحجة " ³⁸ . وهي قاعدة من قواعد أهل الشريعة ، وزاد بعضهم : " ولو ثبت ضرره " ³⁹ ، ولهذا أكتب هذا البحث ؛ لأنني أو من أن تغيير الدرس النحوي الذي يُنادى به اليوم لم يقم على حجة ، أو يوا إلى برهان وإنما على تقليد ومتابعة لأمم الأرض الأخرى ، دون أن تدعو حاجة أو يثبت ضرر ، فكيف والثابت إنما هو نفع النحو بما كان عليه نفعًا عميمًا لا يُنكره إلا مكابر!!.

ومن هنا ، وبناء على كلام الفقهاء وأئمة الملة : فإن النحو من القديم المشروع ، والعتيق النزوع ، فيجب أن يُترك على حاله ما لم يثبت خلافه ؛ " لأن بقاء الشيء مدة طويلة دليل على أنه مستند إلى حق مشروع ، فيُحكّم بأحقّيته ، وذلك من باب حسن الظن بالمسلمين بأنه ما وُضع إلا بوجه شرعي " ⁴⁰ ، هكذا هي نصوص أهل الشريعة في هذا الباب ، ولا أعلم شيئًا توفر فيه هذا الأمر مثل ما توفر في النحو ، أوليس قد توارد على النظر فيه أئمة الأمة ، وأزمة الحق فيها؟! ، أوليس من النحاة الشاطبي صاحب (المقاصد) و(الاعتصام) ، وقبله الخليل وسيبويه ، وبعده السيوطي والعصام ، وجملة علماء أهل الإسلام ؟ ، نهج الخالف على ما وضع السالف وزاد وفصل ، ووضّح وحشّى وذّيل ، ولكنه لم يُسقط أو يحذف ، ولم يُجرّم ما كُتِبَ وَمَنْ كَتَبَ ، وهم أهل العدالة والديانة ، وإذا كان إحسان الظن بالمسلمين متعينًا ، فهو بعلمائهم أشد وأصوب وأدخل وأوجب .

ومن هنا : لا أزال مناديًا بأن ما كتبه السلف لا معدل عنه ولا مناص منه ، لكن الشأن والطريق نحو ذلك هو أن يجعل الناظر في كتبهم هجيراه وديدنه ، مذهبه ، وممكنه إبراز كنوزهم ، وحفظ حقوقهم ، مع شدة المكث ، وملازمة التحري ، لا يفتر ولا يكل ، ولا يسأم أو يمل ، فإنه ما فعل ذلك أحد إلا أفاء الله عليه ، وانكشف له في كل مرة شيئًا لم يكن قد رآه من قبل ، وقد كان الشريف ابن طباطبا العلوي يكره أن ينفر الناظر في كلام الأوائل لمجرد أنه وجد شيئًا استعربه ، أو أمرًا لم يتلقه بالقبول⁴¹ ، بل يتعين عليك إعادة النظر وإطافه ، وإنعامه وإرافاه حتى تنفرج عنك سجف الغفلة ، وحجب الظلام ، وهذا كلام

صحيح أيد ، فإن القوم — كما قال ابن خلدون- : " قد أدركوا الملة في عنفوانها "42 ، وأوج قوتها، فإن كان هاهنا سوء فهم ، أو غموض أمر ، فليتهم أحدنا نفسه وفهمه ، قبل أن يرمي به بريئاً إماماً من المتقدمين ، فكلام أحدهم كلما أثرته وجدت تحته خبيثة ، قد اختبأها لك أيها الناظر المجد ، دونك أيها الفاتر الخادر ، ووالله وتالله وبالله ، إن أحداً ممن يزعم ضرورة التجديد ، ويدعو إليه ، ولا سيما أصحاب الدعوات الصارخة⁴³ ، إذا فاتشته وباحتته وجدت أن أكثر ما وقع له من الأمور والاجتهادات التي توجب عنده ضرورة التغيير ، إنما هي راجعة إلى لوثة أصيب بها ، إما بسبب غلبة هوى أصم ، وإما لجهل طبع عقله على سوء فهم ، وإما سوء نيّة وطوية ، بحيث يتخذ من عادى الأمة أداة لحرب أهله ولسانه ، والله المستعان .

وهنا شيء جوهري ، ومورد كوثر ، وهو رباط الأمر وملاكه ، يقول الشافعي — رحمه الله- : " لسان العرب عند خاصتها وعامتها لا يذهب منه شيء عليها ، ولا يُطلب من غيرها "44 . فلا جامعة السربون ولا أساتذة هارفرد تقدر أن تعطينا النحو ، ولا جامعات العالم ، ولا مكتبات الكونجرس ، لا يمكن أن تطلب النحو إلا في مكة والرياض ، إلا في البصرة والكوفة وبغداد، إلا في دمشق والقاهرة .. في عواصم أهل الإسلام وحواضر حملة التوحيد ، إذا وقع هذا في خلد أحدنا وعلم أن الشيء لا يُطلب إلا من معدنه طلبه من حيث ينبغي أن يطلبه.

وهذه الكلمة من هذا الإمام العظيم اعقد خنصرك عليها ، واشدد حَبوتك عندها ، وأعظم قبضتك بها ، فإنها دواء من طب لمن حب ، وليس من وكدي ، وليس همي أن أذكر جميع صور هذا الافتيات استيفاءً وحصرًا ، وإنما الغرض أن أُنَبِّه على أن النحو علم مُفْتَات عليه ، تحت مظلة الموضوعية وداخل عباءة التجرد !! وأن الذين نالوا منه إما : أنهم قوم يعادونه ، أو لا يفهمونه ، وهذا أمر ظاهر واضح ، لا تخطنه عين منصف .

ثانيا : النحو وصور الافتنيات عليه :

وخلاصة ما يمكن أن يُقال في موضوع : (الافتنيات) بعدما سبق أنه متصور في :

1-الابتسار والاختصار ، وهذه مفارقات عجيبة ، إذ كان سلفنا إذا أرادوا تبسيط النحو أخذوا من كلمة التبسيط معنى البسطة والسعة ، ودعاة التجديد وأنصاره إذا أرادوا اختصار النحو أخذوا من التبسيط معنى البساطة التي هي ضد التركيب !!! ، فنحن نبسط بالاختصار ، وهم يبسطون بالاتساع وهذا القول منبته لكل سرّ رفيع !! ، ألا ترى أن العرب في أول أمرهم لم يكونوا ينقطن الكلام ، ولم يكن في طروسهم الإعجام ، ولا الشكل ولا الأعلام ... ، ولم يكن أحدهم ليرتاب في قراءة نص ما ، أو فهم مكتوب مهما ، وذلك عند من كان يقرأ منهم ، ولم يكن هناك ما يدعو إلى إيجاد التُّقط مع تشابه كثير من الحروف في النمط ، مع أن الأمر فيها مُلِحّ ، والخطب أصرح . وحين حصل نوع حاجة وأرادوا التيسير وقع التيسير ، لكن بالزيادة ، وبسطوا للإفادة ، فنقطوا وأعجموا ، وشكّلوا وضبطوا ، فكان الإيضاح في الزيادة لا في النقصان ، وكتب القوم خير شاهد ، وأصدق تبيان . يكتب أحدهم كتابًا مختصرًا ، ثم إذا أراد التوسعة والتسهيل كتب المبسوط والمطول ، فتأمل .

بل عليك منذ هذه اللحظة أن تسيء الظن كل الإساءة بكتاب تجده في النحو بُني على الاختصار؛ لأن الاختصار الكُساح المبكر ، وانتزاع الدَّسَم ، في موضع أنت فيه بحاجة إلى أن يكون كامل الدسم، ولهذا : انتبه من هذه الأمور، نعم يقع أن يحتاج الإنسان إلى تبسيط أمر ما بينه وبين نفسه أو خاصة نفسه ، رغبة في حفظ ، أو رجاء لضبط .. ، أما أن يُخرج للناس كتابًا مختصرًا ، ثم يقول : هذا هو النحو ، فهذا ليس من النحو في شيء ! بل النحو عندنا الاتجاه ، ومعنى الجهة مقتض الاتساع في النظر ، وتسريح البصر ، لا ترى في جهة حتى تأخذ جميع ما حول هذه الجهة ، فالنحو في حقيقة أمره فيه الاتباع والاقْتداء وفيه الاتساع وإلتساء ، ولهذا : فاختصاره من أعظم ما يضره ويذهب بثمرته ، يقول شيخ المشيخة ابن خلدون في هذا المعنى : " الملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات إذا تم على سداه ولم تعقبه آفة ، فهي ملكة حاصلة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة لكثرة ما يقع فيها من التكرار والإحالة المفيدتين لحصول الملكة التامة " ⁴⁵ ، ولقد كان هذا الاختصار مظنة سوء الفهم حتى على من قام به كما أثر عن ابن الحاب : " أنه ربما راجع بعض المواضع من مختصره الفقهي فلم يفهمه " ⁴⁶ .

ومن أظهر ما يكون عند المتأخرين من مسائل (الافتنيات):

2- الاستيراد والتبعية.

لعل من أشرس مظاهر الافتنيات هذه المعضلة فقد أُلْفنا الاستيراد ، وأدمننا الوجبات السريعة ، والتسوق عبر النت ، والشراء من المناطق الحرة ، حتى كان هذا الجلل ووقع

هذا الخلل ، حتى في الفكر والعلم !! ، فجاءنا من النحو شيء غريب الوجه واليد واللسان ، جاءنا نحو مُسرطن ، وجاءنا نحو مليء بالمواد الحافظة فكان العلم به أفتك من اللحن ذاته !! ، ونحوات ونحوات استوردت وروح لها وجُعلت هي النحو الذي يدرسه الناس ، وإليه البراعة تنقاس ، وهذا أمر لا يخفى .

ولئن صح إن يقع الاستيراد والتبعية في أشياء – وهو وهي معيبان على كل حال- فلا يمكن أن يصح ذلك في النحو أبد الأبدية ودهر الداهرين ؛ لأنه ليس هناك علم نحن الذون نُصدّره ، ونُنتجه ، ونكرره في معامل تفكيرنا ، ومصانع ألسنتنا ، إلا هذا النحو وهذه العربية ، أترانا بعد ذلك نستجلبه في لفائف غليظة وسجائر بغیضة تورث من الشك أضعاف ما تغرس من اليقين؟! .

3-التهوين والاطراح .

وهو ملحظ يكاد يشترك فيه كل دعاة التجديد إلا ما ندر ، وما أكثر تلك الدراسات والبحوث والرسائل التي بنى أصحابها كلامهم فيها على جملة كبيرة من التهوين والاطراح ، فيهنون من شأن الإعراب⁴⁷ ، وأن تركه أولى ، وأنه العائق الوحيد الذي عاق هذه العربية عن التطور، ويقعون مباشرة في سواتين كل واحدة منهما أشنع من أختها ، الأولى : ذمّ ما أجمع القوم على أنه شرف اللسان ، ونهاية الإحسان⁴⁸ ، الثانية : الوقوع في القامات واطراح الأشراف ، فيهنون من شأن العلماء ، ويُدنسون شرف القوم ، وينتقصون الأسلاف، وكل ذلك بحجة الموضوعية والتجرد للبحث ، وهذا ليس بصحيح، يقول أبو الفتح بن جني وقد عقد باباً في (الخصائص) أسماء : (بابٌ في صدق النقلة وثقة الرواة والحملة) ، يقول : "وهذا موضع من هذا الأمر لا يعرف صحته إلا من تصور أحوال السلف فيه تصورهم ، ورأهم من الوفور والجلال بأعيانهم ، واعتقد في هذا العلم الكريم⁴⁹ ما يجب اعتقاده له ، وعلم أنه لم يوفق لاختراعه ، وابتداع قوانينه وأوضاعه ، إلا البرّ عند الله سبحانه"⁵⁰ .

هكذا كانوا ينظرون إلى القوم وأن الله ما وقّق إليه إلا البر من عباده وأهل خاصته ، ونحن إذا أردنا أن نجدد في النحو رأينا أنه لا يبحث فيه إلا المدلس أو يكتب فيه إلا الطواغيت⁵¹ !! ، وبعيد أن تكون نتيجة النظرين واحدة.

أيها المنكح الثريا سهيلاً ... عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلت ... وسهيل إذا استقل يمان⁵²

ثم اسمع لما يقوله إمام هذا الفن سيبويه : " وزعم عيسى بن عمر أن ناسًا من العرب يقولون: إذن أفعلُ . في الجواب⁵³، فأخبرت يونس بذلك فقال : لا تُبعدن ذا ، ولم يكن ليروي إلا ما سمع "⁵⁴ ، فانظر بباصرة لبك كيف كانوا يذعنون لأكابرهم ، ويوثقون بعضهم ؟. وهذه الثقة في أمر لازم ، وشأن خطير يتأسس عليه نقض بعض أصول باب إذن ، ومع ذلك قال له : لا تبعدن ذا. أي صدِّقه، وهذا فيما بينهم هم، فكيف نحن وقد تأخر بنا الزمان ؟!! وترأخى الحدثان !! ، لعمرى للحاجة إلى الإذعان لهم ، والثوق بأخبارهم ، هي المدرجة المأمونة ، والفرجة المصونة . فإذا ما جاءنا قيل لابن مالك أو خير عن ابن هشام تلقفه بالقبول ولا تبحث فيه ، لا أقول: لا تنتظر ولا تمحص . انظر ومحص ما شئت، لكن لتكن سلامة النِّيَّة هي المطية ؛ لتنتظر فيه وأنت تريد أن تبنيه لا أن تهدمه، وتنتفع منه لا أن تصد عنه وفرق بين الأمرين بين .

ويقول يونس : " أظن هذا الغلام⁵⁵ كذب على الخليل . فقيل : له قد روى عنك يا إمام . فاستحضر كتابه⁵⁶ ورأى ما نقله فيه فوجده صحيحًا كله ، فقال : إنه صدق "⁵⁷ .

فكان الشك ساور يونس في أن سيبويه ربما كذب ؛ لأنه ما كان أكثر ما يقول في كتابه : حدثني الثقة ، وقال الخليل. فأخبروه بأنه لم يكذب ، وقالوا : ونزידك من الشعر بيتًا فالرجل قد روى عنك أيضاً . فقال: أحضروا ما رواه عني. فأحضروه ، فإذا الذي رواه صحيح ، فثبت عنده من باب الأولى صحة ما نسبه للخليل ؛ لأن كلام الخليل أشد ذيوغًا وأكثر انتشارًا بين القوم ، وهم له أكثر تطلبًا من كلام غيره فلم يكن ليسهل على رجل أن يضع على لسانه أو أن يفترى عليه .

هكذا كان ينظر بعضهم إلى بعض ، لم تكن عين الخيانة هي عيون القوم ، ولم يكونوا يرتدون النظارات السوداء ينظرون بها في محارم الناس ويتلصصون بها على أعراض من جرّم الله النيل منه والوقوع فيه ، لأنهم كانوا أهل تقوى وخشية. ولهذا : فإن من يتعدى على النحو باطراح علمائه أو باطراح أبوابه فإنه قد أخطأ المسلك ، وضل الطريق .

ومن ردغات الافتيات أمور قد مضت وربما اندثرت – والحمد لله- ، لكنها يومًا من الأيام واجهت النحو وواجهت العربية.

فيومًا من أيام الدهر طولب بأن يُكتب الحرف العربي باللاتيني!! فالكلام عربي ويُكتب باللاتيني⁵⁸!!

كلاها وحتى سامها كل مفلس⁵⁹

لقد هزلت حتى بدا من هزالها

نعم هي دعوات قديمة ، ونعرات طريفة كانت فباننت ، ولكنها ربما عاودت وقامت ، لأنه قد ؛

سنّ العداوات آباء لنا سلفوا *** فلن تبيد وللآباء أبناء⁶⁰

ولا يزال الناس يكتبون هذا خاصة في وسائل التواصل ، فيكتب الواحد اسمه بالحرف اللاتيني ، ويستبدله بالعربي ، ويعتقد أنه قد وصل الغاية ، وأربى على كل راية ، وهذا فاسد من كل وجه ، وهذه الدعوة وجدت يوماً من الدهر في مجمع اللغة بمصر ، ونوقشت على مدى ثلاث سنوات في مآرز العربية!! وموضع الدفاع عنها!! والله المستعان! سنوات ثلاث وهذه السوءة تدار في أروقة حصن الفصحى!!
يُكتب الحرف العربي باللاتيني ؛ لأنها لغة العصر ؟ أو يُكتب بالحرف العربي فيبقى على ما هو عليه⁶¹!!!

فهل هذا هو التجديد الذي نريده للنحو ، أو يريده النحو لنفسه؟! وهل هذا هو التجديد الذي نبر به أجيالنا وأمتنا؟! إذا كان القوم قد أُصيبوا حتى أرادوا أن يغيروا الهيئة التي كُتبت بها العلم و سطر بها اللسان ، وأحكمت بها الحكمة وثبت القرآن .. فهل يؤمن أن تكون قد التاثت عقولهم وارتضخت أمراً يعتلق بالأفكار والمعاني ، والشخصية والهوية؟! أمر لا يُستبعد ، ونازلة لا تستبرد ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.
ومن مظاهر الاطراح والافتيات :

4-التهكم واللمز ، والتهوك والغمز لتلك الجواد التي سلكها السلف في العلم وطريقة تطلبه وجمع أصوله ، سُخر من الطرائق ، وسُخر من الحواشي ، ودُمت الكتب الصفراء ، وعُقت حاشية يس على الفاكهي ، ودفعت تعليقات الأمير على المغني ، وجُعل محل ذلك كله التوليد والتحويل ، والسطح والعمق ، وآراء أولمن وفيرث! والله يتولى أهل الصلاح والإصلاح ، كتب د. فاروق عبدالمعطي وكيل آداب المنصورة مرة كتاباً أسماه : (يحيي حقي صاحب القنديل) ضمن سلسلة أعلام من الأدباء والشعراء ، إصدار دار الكتب العلمية – بيروت 1414هـ ، قال : " العلم القادم من أوروبا لم يدخل كما -كان ينبغي- ضمن الأزهر وينبت فيه ويتأقلم ويتطور ... وهذا الإسهام الذي أحدثه التعرف على فكر وعلم وثقافة أوروبا من تطوير أدبنا الحديث ، والتعرف على الأشكال الأدبية الحديثة في وقت كانت الثقافة الأزهرية تعاني الجمود والشكلية والاستغراق في الحواشي ... والكتب الصفراء " ص 119 .

وثمة شبهة شوهاء ، وسوءة صلعاء تطل على الناس أشد فتكا مما سبق ، ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب ، ذلك أن بعض من سلك هذا المسلك الوخيم -مع الأسف-

طائفة من أهل العلم والفضل !! مع ما يعرف عنهم من شدة حب التراث العربي والدفاع عنه، والعناية به، إلا أنهم وقعوا في حباله التهوين والاطراح والاستخفاف والاستهجان، وهم لا يشعرون... وذلك حين يكون الأمر معقودا بين كتابين أو بين إمامين كليهما مشهود له بعلو الكعب، ورسوخ القدم، ولقد كان المنبغى أن يشاد بكل، ويصان ويجل، لكنهم - مع فضلهم- تخذوا من ذم الخالف المصلي، صهوة لنعت السالف المجلي- مع ما في كل من الخير - وما علموا أنهم بذلك إنما يأسسون لثقافة غلبت، وفيما بعد استحكمت، ونمت حتى استعظمت، بل صارت مناهج تدرس، ومدارس تدرس، لتأصيل تهجين العراب ونبذ الجلة الأقطاب، بدعوى الموضوعية والاعتدال، والاستشهاد بنحو "هم رجال ونحن رجال"⁶² !! تلكم هي الاستهانة والتحريض اللذان وقرا في أعماق قلوب كثيرين كما كان يقول الشيخ محمود شاكر رحمه الله!⁶³ الذي نبه بكل صدق وغيره وموضوعية ووعي تام بالتاريخ أحداثا وعبرا، على ضرر مثل هذا الشرر، والذي آل مع تراخي الأوان وكرور الأزمان إلى نار عظيمة الأوار، مؤسسية الضرار، فقد نقل الشيخ شاكر عن الأستاذ: عبدالرحمن البرقوقي من شرحه على التلخيص في علوم البلاغة للقرظيني قال: "ظهر حوالي ذلك قوم درجوا من عش الفلسفة، فوضعوا على الكتاب الشروح والحواشي، وسلكوا مسلكا تنكره اللغة ويستهجنه البلغاء فأغمضوا عن أسرار البلاغة وتشبثوا بالفلسفة، وحمي بينهم وطيس المناظرة، حتى أتوا على الذمء الباقي من هذا العلم، وحتى أضحى وقد انهالت دعائمه، وتكررت معالمه..."⁶⁴ ويقول الشيخ محمد رشيد رضا ممجدا لدلائل الإعجاز- وهو حق -مثربا على المفتاح والسكاكي، مشددا النكير على سعد الدين التفتازاني والحواشي -وهو باطل- قال: "كان السكاكي وسطا بين عبد القاهر.. وبين المتكلمين من المتأخرين، الذين سلكوا بالبيان مسلك العلوم النظرية.. ثم تنافسوا في الاختصار والإيجاز، حتى صارت كتب البيان أشبه بالمعميات والألغاز.. وكان من أثر فساد ذوق اللغة اختيار هذه الكتب التي ملكت العجمة عليها أمرها، على الكتب التي تهديك إلى العلم الصحيح بمعانيها.. فكادت كتب عبد القاهر تمحى وتنسخ، وصارت حواشي السعد تطبع وتنسخ"⁶⁵ وقال في مقدمة تحقيقه لدلائل عبد القاهر: "وقد اختار أهل هذه الأزمنة الأخيرة هذه الكتب المجدية القاحلة.. فكان أثرها فيهم أن حرموا من البلاغة والفصاحة حتى إن أعلمهم بهذه الكتب وأكثرهم اشتغالا بها هم أعياهم وأعجزهم عن الإتيان بالكلام البليغ بل والصحيح قولاً وكتابة.."⁶⁶ قلت سبحان الله! قل أن يأذن الرجل منا للسانه بأن يأخذ في سلب وثلب العلماء ورميهم إلا ويأتي من بعده من يأخذ عليه ويفوق كنانته إليه، ألا ترى كيف كان الشيخ رضا يعيب على العلماء ومنهم السعد الذي اشتهر

أمره , ونبه شأنه , حتى كان محل توقيير معاصريه , مع ما في المعاصرة من الحجاب وفقد النصفة والصواب , ومع ذلك كان رضا يرى أن ما خلفه السعد من إرث عظيم إنما هي تركة " سماها الجهل علما..."⁶⁷ ثم وقع له أن تناوله الشيخ شاكراً مادة لنقد مسلك الاستهانة والاستخفاف والتحريض⁶⁸ , وكان لباب هذا الانتقاد وعصبه ما انتحاه الشيخ رضا ومن قبله أستاذة محمد عبده ومن بعده من تأثر بهذا الطرح وعلى رأسهم الدكتور طه حسين وطلابه إلى أن وصل الحال بأحدهم أن يقول : " كنت أحب أن يجلس سيبويه بينكم ليتعلم النحو "⁶⁹!!!

المبحث الثاني

الاقتنيات مفهومه وصور منه

أولاً : مفهوم الاقتنيات :

وأما (الاقتنيات) : فلفظة وقع عليها الاختيار للطيفة قبست جذوتها وانتقلت لبابها من حديث أرباب المعاجم المعتبرة عنها ورأيت أنها في غاية المناسبة لمراد هذا البحث وذلك أنهم يجعلون الاقتنيات بمعنى القوت من باب تسمية الشيء بمصدره ، ومعناه عندئذ ما يمسك الرمق من الرزق⁷⁰ ، وثم معنى آخر أدق وأخص وهو تنقص الشيء وإذهابه رويدا رويدا شيئاً فشيئاً حتى ليزول أو يقارب ومنه قول الأول : " يقات فضل سنامها الرجل ، أي : يأخذ الرجل وأنا راكمه شحم سنام الناقة قليلاً قليلاً حتى لا يبقى منه شيء لأنه ينضيها " وهذا لعمرى سوس ما أقصده من عمل قوم انتسبوا للنحو وركبوا رحله فأنصوه رحله وكدا دون تغذية له أو تعويض لما يفوت بسبب المزاولة وطبائع الإلف وعوارض الرتابة وعليه فمدار ما أريد من الاقتنيات ما يقع من تطب المعاش ، والارتفاق بالعلم لتحصيل حظ من الدنيا مع سوء خدمة للعلم وقلة احتفال به إلا ما يقبتهم منه أو يبلغون بهم أرباً أو ينيلهم وطراً ... فالقوم لم يفتاتوا على النحو أو يحدثوا فيه ، بل لعل منهم من أراد في أول الأمر الخير ، ولكنه أخطأ الطريق، وزايل الصواب.

ثانيا : النحو وصور الاقتنيات منه .

1- لعل من أكثر صور الاقتنيات رواجاً مانجده عند بعض طلبة العلم الشرعي والمبتدئين منهم خاصة فيما يُسمى بالدورات العلمية ، إذ يؤسس واضعوا هذه الدورات والقائمون على تنفيذها لفكرة جرد النحو والإحاطة به في زمن أقصر من إبهام القطة وما علموا أن ذلك هو سبيل الإطاحة بالنحو لا الإحاطة به ؛ لأن من جدولهم في هذه الدورات أن يُدرّس متن من متون النحو ، ثم هذا النحو لن يكون إلا الأجرومية ؛ لأنها شُرحت منذ كذا وكذا ولا يزال الناس يدرسونها ، وقد ثبت أن فيها خيراً عظيماً ، وقد انتفع بها السابقون وأن صاحبها قد كتب له القبول فأنت ترى انكباب الناس عليها وتداولهم لها !! وأن الشيخ الفلاني قد نص عليها عند حديثه عن منهجية تلقي النحو... وهكذا دواليك مقولات يتلهون بها يعتقدون بهذا أن الناس في زماننا قد ينتفعون بالأجرومية انتفاع القدماء منها أو يألّفون مصانعتها إلف الأوائل بها ، وهذا ليس بصحيح ؛ لأمر قد لا يكون هذا محل النظر فيه⁷¹.

وأما وجه الاقتنيات في المسألة : فلأنهم يريدون أن يُقرأ النحو في ستة أيام ، أو ينتهى منه في مجلسين!! ، وأشد منه خطراً وضرراً أصحاب ما يُسمى باليوم العلمي ، يختمون النحو في يوم أو بعض يوم !! وقد حكى ثعلب أن الأحمر كان يحفظ في النحو أربعين ألفاً شاهد⁷² ، ولزم أبو الفتح أبا علي أربعين سنة⁷³ ، وأنت تريد أن تأخذ النحو في يوم أو بعض يوم ، كيف يُنشَرُ لك ؟ أم كيف يُكسى لحماً ؟ بل كيف يتم خلقه ولما ينفخ فيه بعد ؟!!

إنَّ من أسس العلم : اللزوم والمصابرة ، والتوخي والمثابرة ، وأن الحنكة في : " واصبر نفسك"⁷⁴ والكيس من : والحق لا يُدرك إلا بالجهد⁷⁵ ، أستم ترون أن المصطفى صلى الله عليه وسلم عُط ثم تُرك ثم عُط ثم ترك وفي الثالثة أخذه فغطه ثم تركه وقال له : (اقرأ) ، فمتى وقع له هذا ؟ ، وهل هناك حق أعظم من الوحي ؟ ومع ذلك وجد صلى الله عليه وسلم من العناء والمشقة ما لا يقدر عليه أحد ، وذلك لأن الذي يتلقاه هو الحق ، وفاروق الأمة ختم البقرة ختمه حفظ وتدبر في اثنتي عشرة حجة ثم نحر جزورا⁷⁶ كفاء نعمة الله

وابنه عبدالله رضي الله عنه مكث أربع سنين ، وقيل ثمان يتعلمها⁷⁷ أوليس من الحق النحو أو ليس من أخص سبل التدبر فهم ما انتحت العرب في لسانها؟! وأنت تريد أن تلقاه في ساعة أو في ساعتين ؟ ويسمونه اليوم العلمي ، فيقرأون فيه كتاباً من النحو ، يزعمون أنهم أصابوا النحو وهيئات ، هؤلاء هم مقتاتو النحو ، يفتاتون به، يُنظمون جدولاً يحصلون به على إعانة أو دعم أو سمعة أو علو في الأرض ، الله أعلم ، ولست أشكك في مقاصد الناس ، ولا أنسب امراً إلى ريبة لكن احذروا أن تنسرقوا في مثل هذه الدورات أو تساقوا

إليها إلا على جهة أنك تريد التذكرة ، ومراجعة ما فات وربما أما أنك تريد أن تتعلم النحو وتتقف أصوله وتغوص على أحكامه وتسبر أسرار علله فهذا أضر ما يكون بك وبه ، وأبأس ما يكون منك إليه ، وأدب نفسك واعرضها - كلما هملجت بك - على قول أهل الحديث " من طلب الحديث جملة ذهب منه جملة إنما كنا نطلب حديثاً وحديثين"⁷⁸ ، ثم انته بها إلى ما انتهى إليه أهل الكيس والفهم وربابنة العلم في هذه المدرجة فإنك تتنبه وتتجب من نحو قول الخطيب البغدادي : " وينبغي أن يجعل لنفسه مقداراً كلما بلغه وقف وقفته أياماً لا يزيد تعلماً ، فإن ذلك بمنزلة البناء ألا ترى أن من أراد أن يستجيد البناء بنى أدرعا يسيرة ثم ترك ذلك ليستقر ، ثم يبني فوقه، ولو بنى البناء كله في يوم واحد لم يكن بالذي يستجاد وربما انهدم بسرعة وإن بقي كان غير محكم فكذلك المتعلم"⁷⁹.

2- ومن الافتيات : من يورد النحو على الناس أو يرد هو حياضه وقد اشتغل وأشغل غيره بتلقف أقاصيص النحو المتفرقة وأضاحيكه المزوقة -كقصص الفرزدق مع عبد الله بن أبي إسحاق⁸⁰ ، وقصة عيسى بن عمر لما طاح في الطريق، واجتمع عليه الناس ، فقال : افرنقوا⁸¹ - ويجعل يروي للناس هذه المرويات يضحكهم بها لا غير وربما أضحكهم منها فغلط وأخطأ نعم هي في ذاتها ليست سيئة ، وليست هجراً ، بل ربما تستجلب الناشئة ، وتقرب الناس ، وتحببهم في العلم ، لكن أن يجعل النحو هذه الروايات وتلك الأقاصيص المضحكة فليس بصحيح ، وهذا خلل بالغ ، فقد وجدت من يعتقد أن النحو هو أقاصيص أبي علقمة النحوي⁸² ، ويمكث يدرس الناس الليالي ذوات العدد ، وهو يروي لهم أقاصيص وحكايا أبي علقمة النحوي، وسأورد لكم طرفاً منها لا على سبيل الافتيات وإنما لتعلم مافيه من بعث النفس وتنشيط الطالب ولكنها أيضاً لسيت هي النحو ليست هي النحو ، وذلك أن أبا علقمة هذا : كان مولعاً بحب الغريب ولاشتغال به ، ويكثر الحديث فيه مع الناس ، فدخل يوماً على طبيب ، فقال له : إني أكلت من لحوم هذه الجوازل ، فطسنت طسأة ، فأصابني وجع بين الوايلة إلى دأيه العنق ، فلم يزل ينمو ويربو حتى خالط الخلب ، فألمت له الشراسف ، فهل عندك دواء؟! ، فقال له الطبيب : خذ خربقاً وشلفقاً وشبرقاً ، فزهزقه وززقه ، واغسله بماء روث، واشربه بماء الماء ، فقال أبو علقمة : ويحك! أعد علي هذه الوصفة ، فإني لم أفهمك . فقال الطبيب : من أقلنا إفهاماً لصاحبه؟! وهل فهمت أنا شيئاً مما قلت؟! ويروى عنه : أن غلاماً انقطع عنده للخدمة ، فأراد أبو علقمة البكور في حاجة ، وكان غلامه قد ضاق ذرعاً بكلامه ، فقال : يا غلام ! أصقعت العتاريس؟! . فقال الغلام : زقيلم . فقال : وما زقيلم . قال : وما صقعت العتاريس . فقال أبو علقمة : إنما قصدت هل صاحت الديكة ؟ . فقال : وأنا قصدت أنها لم تصح . ويروى أنه قدم عليه

ابن أخ له , فقال له : ما فعل أبوك ؟ . قال : مات . فقال أبو علقمة : وما فعلت علته ؟ . قال : ورمت قدميه . فقال أبو علقمة : ويحك ! قل : قدماه . قال : فارتفع الورم إلى ركبته . فقال : ويلك ! قل : ركبتيه . قال : يا عم دعني , فما موت أبي بأشد علي من نحوك هذا .

هذه الأخبار على لطافتها وظرافتها , وهي تذهب بالسأم والملل , لكن ليست هي النحو ولا اللغة , فمن اعتقد أنه بهذه القصص والأضحوكات يغذي الناس النحو والعلم , فإنما يغذيهم خلاف ذلك , ويتخرج من تحت يده أناس بلهاء , لا يعرفون من النحو شيئاً , فمن الاقتنيات على النحو أن تجد من يصنف كتاباً موسوماً بصفة النحو , وليس فيه سوى هذه الأضحوكات والقصص .

3- من الاقتنيات : بعض طرائق التدريس , سواء في الجامعة , أو حتى في التعليم الابتدائي , أو غيره , إذ فيه نوع اقتنيات مذموم , فإننا إذا انتهى الشهر قبضنا من الرواتب وأصبنا من المال , والفضل لله تعالى , ثم لابن هشام , ولابن مالك قبله , وللجلة المتقدمة , لكن لبتنا ونحن نقبض هذا المال , وننفقه في أمور حياتنا نحسن أن نعلم أبناءنا النحو على وجهه الحقيقي , وإنما تجد المعلمين بسبب ملهم وانكدار خواطرهم من إعادة وتكرار المسائل يرددون نحواً قد ألفوه أحوالاً , ولقنوه أجيالاً , فينحدر أحدهم من التعليم الصحيح والطريقة المثلى إلى أن يحشو أذهان الطلاب بما اتفق , أو يأمرهم بالحفظ كيفما وقع , ويترك الاستزادة حتى ينسى ماءه وزاده . والمال لا يزكو إلا بالفقة " والسهم لولا فراق القوس لم يصيب " فيقعد عن الطلب , ويرضى بما انطلب , ولا تزال تتخوف عقله السنون , وتنسيه جملة المسائل والفنون , حتى ينقلب وليس في جعبته نبل , ولا في إداوته مذقة , فيهلك في فيافي النسيان , ويضيع في تخوم التراخي , بل يذر من ورائه طلبة حيارى لا فقه ولا منهج وهذا عين البلاء .

4- ومن الاقتنيات : ما يقع من بعض الطلاب إذا أرادوا تعلم النحو قصدوا أعجمياً , جلدا في عجمته رأساً في هجنته .. والعجمة ههنا ضربان عجمة لسان وهذه سوءة لا تدفع ولكن العجمة الثانية هي الأنكى والأشد بطشاً وفتكا تكم هي عجمة العقل وفساد الرأي وذلك أمر لا يصح بته , فإن الطالب إذا أراد تعلم النحو , فإنه يجب عليه أن يطلبه من مورده , ومن عند أهله ؛ لأنه إذا تطلبه من غير أهله , فإنه قد يصيبه وقد يخطئه , أما إذا طلبه من أهله فإنه حري أن ينال , ويَتَوَقَّعَ له ولن يزال , قيل للزهري :

" زعموا أنك لا تحدث عن الموالي ؟ قال : إني لأحدث عنهم , ولكن إذا وجدت أبناء المهاجرين والأنصار أتكى عليهم فما أصنع بغيرهم ؟!! " ⁸³ , وهذا النص أصل في بابيه يقول الحافظ ابن رجب : " ولا بد أن يكون سلوك هذا الطريق خلف أئمة أهله المجمع على

هدايتهم ودرائتهم⁸⁴ ولقد كان لهذا الأمر خطره , حتى أصبح المجيد من أهل العلم , الذي اتفق له كمال دربة فيه , وحسن أداء لمعانيه , يوصف بذلك وينعت , وتروى في سيرته وتثبت , قال الصلاح الصفدي عن بعض مشيخته : " وقل من قرأ عليه ولم ينبه , ولم أر مثله في مبادئ التعليم , كان يفتق أذن المشتغل ويوضح له طرق الاشتغال , ولم أر مثله في تنزيل قواعد النحو على قواعد المنطق "⁸⁵ , واعلم أن خطر هذا الأمر يكمن في مترتباته أيضا كما كمن فيه هو عينه كما سبق وشرح ذلك – أيدك الله - أن طالب العلم المتخلق به له أمارات وعلامات كما كان يقول الإمام الشاطبي⁸⁶ ومن أجلها " أن يكون ممن ربه الشيوخ في ذلك العلم , لأخذه عنهم , وملازمته لهم فهو الجدير أن يتصف بما اتصفوا به من ذلك "⁸⁷ بل عد أبو إسحاق الشاطبي هذا المحل أعني أخذك العلم من معينه واغترافه من عيونه " من أنفع طرق العلم الموصلة إلي غاية التحقق به "⁸⁸ ومن هنا كان التحري في حال من يؤخذ عنه العلم من الأمر اللازم , والرأي الحازم , ولاسيما فيما يعتقد ذلك الشيخ تجاه ذلك العلم الذي ينتسب إليه , وفي تبجيله إياه , وتنزيله المحل الأفخم , والموضع الأسنى , وقد صرح أئمة السلف بأن " من شروطهم في العالم بأي علم اتفق أن يكون عارفا بأصوله وما ينبني عليه ذلك العلم قادرا على التعبير عن مقصوده فيه عارفا بما يلزم عنه قائما على دفع الشبه الواردة عليه فيه "⁸⁹ فقل لي بربك كيف يكون الحال وأني ينصرف المال إذا كان ذلك المعلم هو نفسه الناث لتلك الشبه , الناشر ثوب تلکم الفرى !! كيف يحصل علم أم كيف يزكو متعلم؟! فإن مماريته وراه الناس وسمعناه وعشناه في هذه الأعصار أن يتصدر لتبليغ الفن وتمكينه في الناس العاق الكنود , والمدل الجود ... عيشه وغضارة نعيمه من موائد السلف والخلف وولاؤه وحبه عند التمحيص منجرف منجرف , غره تأخر من يتكلم بالعربية , وتفوق من سواهم , فهو أبدا مغلوب على نفسه , مقمور بين ذل الإعجاب بما هنالك , وبين فقد الاعتزاز بما يملك ويشارك !! فكان هذا وأمثاله هم الأزمة الحقيقية والمشكلة الأزلية وباختصار أيها المبارك الأزمة عندئذ ومع أولئك أزمة يقين لا غير !! فافزع إلى ربك وانتبه وتنبه ونبه من وراءك واجعل وكاء عقلك في هذه المدلهمة قول الله جل ثناؤه " فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون "⁹⁰ والله المسئول أن يصلح القلوب ويهدي العقول .

وأخيراً : نحن في هذا الزمان الأزمة بيننا وبين النحو أزمة حب , لا أزمة تعلم , فلا بد أن يحب الشخص ما يتعلمه , ويخلص له ويقبل بجمعيته عليه فأما هذا النحو الذي يدرسه

الطلاب بهذه الطريقة التي أفوها والتي ميناها ومعناها التلقين والحشو والتحفيظ الأجوف - وأقول الأجوف لأن الحفظ الصحيح الأصول المنبي على سلامة المفهوم والمعقول من خير ما ينفع الناس في التحصيل - ذلك الحفظ المفرغ لا يمكن أن ينبه به طالب علم، أو يتخرج به مستقيم فهم بل ربما أعقبته أفة خطيرة و علة مستطيرة وهي أن يتجشم الطالب العلم على كراهة وسأم ومضض وندم فينفر منه ويخف شأنه في أصغريه فلا هو يعقله ولا هو يوقره بل ربما تركه.

ثم لا يعترض عليّ بأن أشياخ النحو الأوائل إنما كانوا أعاجم ، وذلك لأمرين ، الأول : أننا لا نرى أولئك الأفذاذ أعاجم إلا من جهة النسب وإلا فهم من صميم العرب فهمًا وحقًا ، وقد جاء في هذا المعنى حديث وإن كان أهل الحديث على تضعيفه سندًا وهو قوله : " أيها الناس إن الرب واحد والأب واحد⁹¹ وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وإنما هي اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي " ومع ما فيه من ضعف إلا أن أهل العلم يقرون صحة معناه⁹².

ثانيًا : أن المراد بالعجمية هنا انطباع العقل بطابع رداءة الفهم وسوء النظر وهذا يدخل في العجمة من كان عربيّ الأصول والفصول إذا كان هذا حاله ومآله . وأخيراً فإن نقد مناهج التأليف والتلقي في النحو يفرض عليّ أن أحدد منهجاً بديلاً يتلافى به صاحبه تلكم المزالق ، وسيكون حديث المبحث القادم .

المبحث الثالث

المنهج المقترح لدراسة النحو

وإذا تقرر مما مضى أن النحو تتكفأه خطتان أحلاهما مر كان من الازم اقتراح بديل علاج ، وطريق غير ذي اعوجاج في تطلبه ودرسه ، وأن أول ما يجب في هذا الطريق :

أولاً : أن يستحضر الناظر فيه منهجا ملائما ، واستحضار المناهج يختلف باختلاف الأشخاص وتصوراتهم وباختلاف أهدافهم وغاياتهم فمن يريد أن يلم بالفروع بله الأصول ليس كمن يريد أن يتصور الفن التصور الجملي ويأخذه بالمفهوم الكلي ، ومن يريد قراءة النحو مثاقفة واطلاعاً ، ليس كمن احتص به وتخصص فيه ، وقد كان الامام عبدالقاهر شديد الدأب ، كثير العناية بالتفريق بين المسلكين في الطلب والعلم ، حاضاً على الأخير منهما ، إذ هو سبيل الإجابة ، ومسلك الإفادة ، قال رحمه الله : " واعلم أنك لا تشفي العلة ، ولا تنتهي إلى ثلج اليقين حتى تتجاوز حدّ العلم بالشيء مجملا إلى العلم به مفصلا ، وحتى لا يقنّعك إلا النظر في زواياه والتغلغل في مكانه ، وحتى تكون كمن تتبع الماء

حتى عرف منبعه وانتهى في البحث عن جوهر العود الذي يصنع فيه إلى أن يعرف منبته ومجرى عروق الشجر الذي هو منه " 93

ثانيًا : لا بد أن تستقر عندك في بناء المكلة أصول تجري عليها لا تغادرها , ومن ذلك ألا يطلب النحو إلا من بابه. ولا يولج إليه إلا من سردابه , وقد فرط بيان ذلك أنفاً ثالثاً : اعتن بالعائلة الذي ينتمي إليها النحو ومنها منزعه وإليها مرجعه , وهي الشعر , والأدب , والبلاغة , والصرف , وغيرها على جهة فهم الخليل للنحو حينما قال : " اعلم أنك لن تصل إلى ما تريد , حتى تأتي على ما لا تريد " 94 . فيجب على طالب النحو أن يعتني بمسائل المعاني , ومسائل البيان , والشعر الشعر فإن النظر فيها نافع جداً .

وجهة نفعه أمر غامض خفي , لطيف دري , يكشفه لك دفعة قول الإمام الشافعي فيما حكاه عنه الربيع بن سليمان قال : " قلت للشافعي رحمه الله متى يكون الرجل عالماً ؟ فقال لي : يكون الرجل عالماً إذا هو حقق في تعلمه , وتعرض لسائر العلوم فنظر فيها , فإنه حكي لي عن جالينوس أنه قيل له : إنك تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة المجتمعة ؛ أفكل الأدوية لذلك الداء ؟ قال : لا , إنما المقصود منه واحدٌ , وإنما يجعل معه غيره لتسكن حدته لأن الأفراد قاتل " 95 وامضغ جيداً قوله (لأن الأفراد قاتل) واعرضه على بصيرة قلبك وفصوص لبك , ثم اعمد إلى مارواه ياقوت الحموي قال : " وكان أبو زيد لا يعدو النحو فقال له خلف الأحمر: قد ألححت على النحو لم تعده , ولقلما ينبل متفرد به فعليك بالأخبار والأشعار " 96 أقول اعمد إليه واقرنه بكلام الشافعي , وجعله بإزاء منه تجد الدرياق صرفاً , والحكمة رأساً , ولقد فعل أبو زيد فيما يبدو ما أوصاه به خلف فجمع إلى النحو اللغة فنبيغ بعد أن اعتنى بمتنها وعكف على نواذرها واشتغل بالغريب منها مثال: (مسألة الجَدِّثِ والقَبْرِ)

فإنك إن أردت أن تتأملها تأملاً لغوياً مهنيًا متكاملًا , وقع لك من المتعة ما لا نهاية لحسنه , ولزمتك من المراح والنشاط ما تغبط على مثله وليس يرجع ذلك لشيء إلا لإنك خلطت معارف اللسان بعضها ببعض حتى انتجت ذلك .. فالجدث ثلاثي محرك الوسط , والقبر ساكنه , وهذه حقيقتهم لغة وحقيقتهم واقعاً , فحيث يكون السكون وذهاب الجهد وقلة الحول والطول يكون القبر , كما قال تعالى : **{ كَمَا يَبْسُ الكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ القُبُورِ }** [المتحنة: 13] , واعقد بين الفعل (يبس) ومافيه من فشو معنى الانقطاع وذهاب البأو وبين سكون وسط (قبر) وما فيها من كمية الهمود والوجوم , تجد فيه من مضافة المبنى لمعناه , وتشبيح اللفظ لمقتضاه ما تذهب معه النفس كل مذهب حسن .

وأما حيث يكون الانبعاث والخروج والحركة والنهوج ، يكون (الجدث) محرك الوسط كما قال تعالى : **{يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا}** [المعارج: 43] ، واعقد أيضا عناج معقولك حول (يخرجون) وما فيها من المضطرب والحركة وبين فتحة وسط (جدث) المعبر عنه بجمعه تلف حقيقة ما نبهتكم عليه ، وأقبلت بك إليه فإذا شفعت ذلك بعلمك أن كلمة (جدث) لم ترد في الكتاب العزيز إلا والذي بعدها حال ، والحال عند أصحابنا وصف يغلب أن يكون منتقلا متحولا ، أي : غير ثابت ولا لازم ⁹⁷ ، أدركت هذا الانطباق وعقلت ذلك الاتفاق بين مدلول الحركة والصوت وبين الواقع المعاش وسياقات الأحوال .. وأصله أن (الجدثة) صوت مضغ اللحم ، وما يمضغ من اللحم وشبهه⁹⁸ ، فكأن الأجداث سميت كذلك لما يقع في جوفها من حركة ومضغ وتحلل .. وإن أخطأتها العين لم تخطئها جثة ذلك الملقى في جوفها تمضغ لحمه وتفني بشرته ، ومضغها له حركة في داخل قبر لا ترى ، فيعبر عنها بحال الحركة اللغوية (الفتحة) تصويرا لما لا يرى منها حسا فتأمل وتدبر والله يهدي للحق وهو خير الفاصلين .

فإذا أنت عجت بهذا الموضوع علمت أنه ما وقف بنا عليه ولا عطفنا إليه إلا ما كان من المزوجة بين الأصوات والبنية والنحو والمعاني وربما الأسلوبية بالفهم الحديث مثال آخر: اسم الإشارة (ذلك) عجيبة من العجائب في كلام العرب ، فهي مكونة من ثلاثة أحرف ، الذال الإشارية⁹⁹ ، واللام التي للبعد ، والكاف للخطاب ، وكل حرف منها فيه دلالة على شيء مختلف فكأن مدلولها شيء يطول وينشعب حتى كأنه كلام لا كلمة ، وهذا محدود في خصائص هذا اللسان كما أشار إليه ابن فارس فقد عقد بابا نافعا مفيدا يصف من حال اللغة وبراعة استعمال أهلها لها سماه (باب الأسماء التي لا تكون إلا باجتماع صفات وأقلها ثنتان) الصاحبى في فقه اللغة /118-119 ، وربما لا ينطبق حديثه على اسم الإشارة من كل وجه ولا سيما أنه تكلم عن أسماء معربة لم يعرض لها البناء من وجه وما أنا بصدده اسم مبني لكن أصل الفكرة وحقيقتها يصلح أن يطبق عليه بل ربما كان وجهها آخر جديدا في البحث .

فأما حرف الخطاب فإنه يختلف باختلاف المخاطب ، فإذا جنئت إلى قوله تعالى : **{ذَلِكَ الْكِتَابُ}** [البقرة: 2] ، بان لك أن الخطاب لك دون غيرك ، وإلا لو كان لعامة أهل الإسلام ، لقال : ذلكم ، لكن هذا من شرفك عند الله ، ومن تكريم الله لك ، وهذا وجه نفيس في اختيار خطاب الواحد دون غيره .

فإن قيل : وكيف تكون اللام للبعد ، وأنا ممسك القرآن بيدي ليس بيني وبينه مسافة ، أو أنا أحفظه في صدري ؟. فأى بعد في ذين الحالين !!؟

والجواب : أن من قواعد البلاغة وأسسها : إخراج الكلام على غير مقتضى الظاهر ¹⁰⁰ , أو كسر النمطية في التعبير كما يجب تسميتها المعاصرون في الدراسات الاسلوبية ¹⁰¹ , ولعل مما يفسر دلالة البعد المفهومة من (اللام) أنها إشارة إلى اللوح المحفوظ , والذي بيننا وبينه ما يستحق التعبير ب(ذلك) , وفي ذلك ما فيه من متعة ولطافة لا تجسو عنها ولا تنبو وفيها من استنطاق الفضل الرباني والسيب الرحماني ما لا منقضى لجودته وهو أنك تمسك بالمصحف العزيز , وأنت من ماء مهين !! , فأنت من حيث أنت لست أهلاً للإمساك بالمصحف , ولكن الله تعالى يريد أن يذكرك بمنته عليك , وبالغ لطفه بك فيقول لك : ولو أمسكت بالمصحف , فإنه (ذلك) فإنه بعيد القدر , رفيع الذكر ... , فكأن في ذلك إلهاباً لما فتر وإذكاء لما اندثر من هيبة التنزيل ومكانة أعظم قيل بدوام الملايسة وكثرة الملامسة حتى ربما نسي أحدنا أنه ليس أهلاً للإمساك بكلام رب البريات لولا اللطف الخفي والمن الوفي فإن أغلب الناس لم ترق به حظوظه أو تعله جدوده لأن يمسك بكتاب وزير ملك بله كتاب الملك من ملوك الدنيا فكيف بالله مالك الملك ينزعه ويؤتيه جل ثناؤه وعز جاهه فوقع من هذه (اللام) هذا الغييض , وحملت ذلك الفيض , من التذكير باللطف , ويقاظ الطرف , إلى الحقيقة الجلى والقناعة المثلى وهي علو القرآن وعظم قدره وتحثك على تمثله فتعمل على أن يكون هذا القرآن في حياتك عالي المنزلة سامي المكانة , وتشعرك بالمقابل أنك لا تكون من أهل الإسلام وأنت تندس نبراس الإسلام , وتتعامل بغير تعامل أهل الإسلام , وتعتقد غير ما يعتقد أهل الإسلام فأنت حينئذ تقرأ (ذلك) ولا تعمل بمقتضى (ذلك) . فتدخل دخولا أوليا في " يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله.."¹⁰²

الكتاب : كل مكتوب يسمى كتاباً , ووجه الإشارة فيه كما تقول حينما تُذكرُ رجلاً , وتذكر فضله وخصائصه, ثم تقول للحاضرين : ذلك هو الرجل , أي : لا غير , وكأن ما عده ومن سواه لا يبلغون درجته وشأوه . فلما يقول الله : **{الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ}** [البقرة: 1-2], فكأن قبل هذا الكلام حديث كثير نثير بثير لكنه صامت قام فيه الحذف مقام الذكر وترك الإبانة مقام الإبانة حتى ترى به نفسك " أنطق ما تكون إذا لم تنطق , وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين " , كما كان يقول عبد القاهر ¹⁰³ , كأنه قيل : لا أبلغ منه , ولا أصدق منه , ولا أهدى منه . كل ذلك في صفات القرآن, ثم سكت عن ذلك كله , واجتزأ, فقيل لك : ذلك الكتاب , وما عهدتم غيره مما كتب, فلا يرقى إلى أن يكون ذلك الكتاب. فإن قيل : وكيف لا يكون غيره كتاب وقد سبق بالتوراة والزبور والإنجيل ... وكلها كتب !! فيقال قد كتبت أشياء كثيرة, لكن لم ينكفل الله بحفظها, وقد اختبر الله بني آدم , فأنزل التوراة

والإنجيل وغيرهما , وأوكل الحفظ إليهم فأضاعوا , وتكفل الله بهذا الكتاب فحفظ , فكأنه قال : ذلك الكتاب , وأما ما عداه فقد دخل فيه التحريف والتدليس

رابعاً: حاول الإمساك بالخيط, أو الخيوط التي تجمع شتات المسائل, فبعض الطلاب ربما له شغف بالنحو , فتجده يقرأ في تفاصيل تفاصيل المسائل , ويتابع الجزئيات ويغشى التفريعات .. وهذه مربةكة له غير موصلة إلى طريق , ولا منتهية به إلى درب , ولا مؤذنة له بجادة , وإنما غاية ما يحصل له نوع بلبلة, وكثرة محفوظ , ثم هي لا تفيده شيئاً , ولا تظله فينا ..

فلهذا يجب الاعتناء بجمع الأصول , والانكباب على تحصيل الكليات فذلك سر النبوغ ويشرحه قول أولي البصيرة : " من ضيع الأصول حرم الوصول " ¹⁰⁴ . وقد نظمه بعض علمائنا رحمه الله فقال :

اغتنم القواعد الأصول فمن تفته يحرم الوصول ¹⁰⁵

عقب قوله رحمه الله :

وبعد فالعلم بخور زاخرة لن يبلغ الكادح فيه آخره ¹⁰⁶

فكأن المراد أن لا سبيل إلى تحصيل العلم الذي لا نهاية له إلا بجمع الأصول فهي سلم الوصول .

خامساً : تخلص من إلف الجوارح , فإنه من قوائل العلم , بل اسمع كأنك تنظر , وتفكر كأنك تشهد , وذق بلسان عقلك , والمس بجارحة قلبك, مثاله : { ولا تعد عينك عنهم } الكهف [28] . فتعد فعل متعد غير لازم, ولكن الله تعالى في الآية يريد ألا يتعدى ,

ومادة الفعل فيها التعدي , فقصر ذلك التعدي أولاً بالنهاي مخاطبا نبيه (لا تعد) ثم يجعل ذلك الفعل في هيئة لم تألفها العين ولا دربت بها الأذن إلا في الفعل اللازم ألا ترى كيف لم يأت بعده إلا الجار والمجرور؟! ولم يقل : لا تعدهم . مع أنه القياس من جهة النظر النحوي؟! إذن قد تُخالف القاعدة , ويترك الكلي وَيُنْحَطُّ المعهود المؤلف لإحداث أمر لا تستطيع حمله القاعدة على وجهها المعتاد , وسبيلها المنسرب , فأعرف هذا المأخذ وخذ نفسك به .. فأنت إذا فهمت في النحو القاعدة فقط , وجاءك مثل هذا , تفرق عليك أمرك أحول أحول واختلط حيص بيص , فلذلك تمسك بأهداب أصول المسائل بيد , وأعلق الثانية بل أنم خاطرك إلى أن القاعدة ليست ضربة لازب , ولا قرأنا لا يتغير ولا يتبدل , وإنما قد يرد عليها ما يمنعها , ويجابها ما يصرفها , حتى لتكون المزية في المباحة والقيمة في المجانبة , وهو ما يعرف بالانقياد للمانع ولو وجد المقتضي , فإنه إذا تعارض مقتضي أمر ما ومناعه أخذت نفسك بالمانع وألزمته إياه ¹⁰⁷ , وأدرتها عليه حتى لا تتعدها ; وسر

ذلك ووصوه أن الشريعة مبنية على الاحتياط ، وأن دفع المفسدة مقدم على جلب المصلحة¹⁰⁸ . وأصول هذا الفن أعني النحو إنما جاءت على مدب أهل الفقه والفتيا فتعقل وتثبت وأسرج مشكاة فهمك إذ كلاهما " معقول من منقول " ¹⁰⁹.

سادساً : الاستنباط والاستنتاج والاستنكاه والاستكناه أمر مباح ومتاح ، فلا يحرم عليك أن تنتظر، إذا لم تخالف شرعاً ، ولم تبطل حكماً ، مثال : قوله تعالى : { **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ** } [العلق: 1-3] : نظرت فيها متوسماً ، وتفريستها مترسماً ، فانقذح لها منها زند ، وشممت أذكي من الرند ، إذ رأيت فيها والعلم لله - من قبل ومن بعد - أنها تحمل أصول نظرية العلم ويستنبط منها أصوله وسياساته وأدابه وهي :

الأصل الأول : النية ؛ لأن (اقرأ) أمر، فيجب أن يكون هناك نية وعزيمة ؛ لأنك إذا أمرت ستمتثل ، فمن شرائط العلم حصول النية وإيجابها على النفس، أي خذ نفسك مأخذ الجد ، وهذا الأمر جد وليس بلعب، والحق لا يدرك إلا بالجهد¹¹⁰ كما قال علي رضي الله عنه - .

الأصل الثاني : الاستعانة في تحصيله بالمنعم به سبحانه . وذلك لأن الباء في (باسم) للاستعانة ، فيجب ألا يستعان في طلب العلم إلا بالله، فلا تستند إلى حولك وطولك ، ولا إلى قدرتك وذكائك ، فإنه لا ميسر ولا معطي إلا الله ، فإذا وقع لك ذلك التجرد ، وهبك الله النور ، وقذف في قلبك العلم ومحبهته .

الأصل الثالث : التفكير، وذلك في قوله : (**خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ**) ، ففيها الإدارة على إرادة التفكير ومحاولته وداومته ، فالخلق أمر عظيم قد خفى علينا ، والعلق أمر حقير ومستردل نراه ، فينشأ من الجمع بين ذين القطبين المتباينين في الظاهر شدة الأحكام وتجلي القدرة المتمثل في روعة الخلق ودقته " أعطى كل شيء خلقه ثم هدى " ¹¹¹ ، فإذا الخلق نعمة ربانية وعطاء إلهي ... وبداياته كانت (العلقة) !! ذلك الشيء الذي لا يعبا له ولا يلتفت إليه ولكنه هو باعث التفكير ومذكي البصيرة ، فلا تحقرن من الأمر شيئاً ولربما كان الفتح من أمر في غاية الاستحغار عندك ، فكيف بما عظم شأنه وزهر سلطانه ، وإذا حيي في خاطرك التفكير وجد العلم ، فالعلم مبدأه التفكير في هذه الأشياء ، وقد كان علي بن عبد العزيز الجرجاني يقول إذا مر ببعض الأفكار اللطيفة : في هذه البذرة شجرة¹¹² . وقد رأينا كتباً من كتب أهل العلم كان مبدأها فكرة ، أو حديثاً بين اثنين ، أو مشاهدة صادفت همة فانتهى إلى أن يؤلف ويصنف فيها كتاب ، أو كتب.

الأصل الرابع: التكرار؛ لقوله: **(اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ)** ، حيث كرر الأمر بالقراءة دفعة أخرى ، فلا يكون العلم بالنظرة الأولى ، ولا بالثانية ، ولا بالثالثة ، فالتكرار أصل من أصول العلم ، لا يكون إلا بالمداومة والنظر ، والمتح والكبح ، إلى أن تدمى أظفار بصيرتك وينقب ظهر تفكيرك وأنت تنقب عن المعرفة لتستنبطها وتستخرجها ، فإذا فعلت ذلك شكر الله لك صنيعك ، وبارك لك في معلومك ، وحاشاه وقد بذلت أن يُضَيِّعَكَ فجاءت هبته لك في قوله (وربك الأكرم) ف(الأفعُل) اسم تفضيل من الكرم وأجود الأجودين ؛ ليبين لك أن الله تعالى هو أكرم الأكرمين وإن حملتها على أنها صفة دائمة ثابتة فيه سبحانه وعددها صفة مشبهة لم يبعد أيضًا ، فالشخص إذا بدأ الطريق على الوجه الصحيح ، واستنفذ جهده ، وبذل وسعه ، فإن الله تعالى مكرمه لا محالة .

أخلق بذأ الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا¹¹³

وقد قلت في معناه :

يوشك الإنسان أن يدخل باباً طالما أعقب طرق الباب قصد

الأصل الخامس : استحضار الطالب لأدواته ، وذلك من قوله : **(الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ)** ، فيذهب إلى الدرس أو الجامعة أو المعهد ، ومعه قلمه ودفتره ، محبرته وطرسه ، وقبل ذلك عقله ولبّه . وأما إذا حضر منه الجسم لا غير فذلكم البنس صرفا والبلادة أسا ، وهذا مثال سريع على حسن المصانعة ووجوب الملاطفة في فهم النصوص ومعالجة الكلام ولا سيما الحر منه ليتمكنك العلم من رحله ويوطنك سهوته وليس في هذا الاستنباط من سورة العلق شيء ، ولا يلحقك فيه تثريب طالما أنك لم تحل حراماً أو تحرم حلالاً ، فما دام الأمر ليس فيه شيء من ذلك ، فما يمنعك من الاستنباط والتأمل؟! .

يا فضلاء ! لا يكون العلم حتى تحصل على هذه المزية ، فلو أنك جلست في أوقات خلواتك ، وقلت : لماذا كان الدين أول أمره بمكة ؟ لماذا لم يكن أولاً في اليمامة ، أو في المدينة ، أو غيرها ؟ فيبدأ عقلك يشغل وينشعل ، ويُنتزع نفسه من مباشرة المألوفات إلى محاولة المعقولات ... فينتهي مثلاً إلى أن أهل مكة أهل تجارة ، وأهل التجارة يضربون في الآفاق ، ألفوا سهوات الخيول ، وظهور المطي وأكوار الإبل ، فكان القوم هينوا للأمر العظيم كما نبه إليه أبو منصور الثعالبي وقبله الجاحظ¹¹⁴ وأنه سيكون يوماً من الدهر البلاء ، وسيكون الشقاء ، وسيضطرون إلى الهجرة والنزوع ، فلو كانوا أهل سكينة ، وأرباب دعة ، وسكان مدر ، وأهل زرع ، فربما نعموا حياة الرحلة ويرموا النقلة ولم يألوا النزوح والخوض والتجشم ، فمن رحمة الله أن جعل مبتدأ الرسالة في مكة ؛ لأن أهلها قد مروا على إمكانية التحول إذا اضطره الأمر إليه ، وهذا التصور قد يكون باطلاً ، لكن لا يمنعني أحد من أن أتذوقه بلساني ، وأستمتع به بجناني ما شئت أن أستمتع .

إذا قرأت النحو استحضر هذا الاستنباط ، اجعله قوسك الكبداء ، وارم به ما عن لك من سوارح الفكر وواردات العقل فربما ظفرت بالصيد ، وعدت بالصيد ، اجعل منه عدة عن يمينك ، وعدة عن يسارك، فأول ما تقرأ من النحو¹¹⁵ : الكلمة اسم وفعل وحرف ، وأن الاسم يعرف بأل ، والتنوين، والحديث عنه ، ثم قال : " علامة من أوله ، وهي الألف واللام ، وعلامة من آخره وهي التنوين ، والحديث عنهم وهو أنفع العلامات "¹¹⁶.

آخر الشيخ¹¹⁷ الأجود، وقال : وهو أنفع العلامات وهذا أمر مستغرب وحكاية لا تؤلف ، كيف يصرح لأولوية هذه العلامة ثم يجعلها آخرًا؟! ثم أكنم للجواب لتراه في : أن العلامة الأولى (أل) علامة لفظية ، وهي من الأول ، والعلامة الثانية التنوين (زيدٌ) من الأخير وهي لفظية أيضًا ، وأما الحديث عنه فأمر معنوي ، والمعاني تحت الألفاظ فانتيبه ، فهو يقول لك : أول ما تنظر في الظاهر ، فإذا انتهيت منه ، لج إلى الباطن ، إذ كان الباطن أشرف وأنفع وأقوى ... ولكنه وإن كان كذلك فإنه ثان بعد أول ، وخفي بعد ظاهر ، وغيب بعد شهادة فاعرف لكل علامة قدرها وموضعها ولا تحملنك قوة إحداهن على طرح أختها ، فكل نافع من وجه ، ولا تعارض ، ولكن ليس لك أن تبدأ بالباطن كما يفعل أصحاب المعاني ، ويهدرون الظاهر، فإنهم إنما يحيلون إلى غير معلوم ابتداء ، ويبداون من حيث وجب الانتهاء ، ويحصرون الدارس في مجرد حفظ العلامات دون النفاذ إلى دقائق الترتيب ونفائس التصنيف والتبويب

هذا والنحو إنما وضع لتعليم من ليس بعربي ، حتى يبلغ درجة العربي ، وبدؤك بالمعاني وما عمُضَ بناى به ويشطن عن هذه الغاية ، فيصبح والحالة هذه لا يفهم النحو إلا من هو عربي الأصول والفصول ، أما العجمي فلا ينفعه ذلك البتة . بل الذي ينفعه أن تبدأ به من الظاهر إلى الباطن ، ومن الشاهد إلى الغائب كما كان يفعل الأسلاف ودهاقنة النحو ، أما أن يكون العكس ، فإنه يخالف المنطق ويعاند مقدمات التفكير . ومثال ثاني ، قال ابن مالك:

ينوب مفعول به عن فاعل *** فيما له كنييل خير نائل¹¹⁸

هذا المثال في البيت (نيل خير ...) منه متعمد مقصود ، متصيّد مرصود ، فالمفعول به قبل النيابة كان فضلة لفظا ومعنى ، فأما بعد أن أصبح نائبًا عن الفاعل فقد أصبح عمدة ، فحصل كسبا ، وحقق طائلا وهذا هو (النوال والعتاء) في بيت الناظم . وكان جائز الحذف ولو اقتصاراً وأما بعد النيابة فقد استعصم وأمتنع .. ، وكان قبل ذلك منصوبًا، والآن أصبح مرفوعًا ، فهو عطاء ونائل كبير حصله بسبب النيابة وهكذا دواليك تستنبط التعليل تلو التعليل والفكرة إثر الفكرة ، وتستحضر قول الشيخ : كنييل خير نائل ، فلا تجد أبلغ منه.

وكذلك لو تأملت في باب نائب الفاعل من أوله إلى منتهاه ، لعرفت فضله ودلالته ، فهو شعار من شعارات العربية وفضلها ، ففيه الوفاء ، وفيه الرحمة ، وفيه الألفة ، ألا ترون إلى الفعل الماضي المبني للمجهول ، والمضارع المبني للمجهول كيف يضم أولهما ، فهذه الضمة هي ما تبقى من إرث ذلك المفقود العزيز والنائي البعيد ، فإذا مات العود (الكبير ذو الهيئة) ألا تحتفظ له ببعض شيء ؟!! ، وكلما جاشت نفسك جنّت إلى ذلك الشيء فشتمته ، فوجدت فيه رائحة أبيك ، فسكنت نفسك !! ، فلما حذف الفاعل وقع يُتم ورُزء وهلك عظيم للفعل والجملة ، فجبرت العربية خاطر هذا الفعل ، فأعطته ضمة الفاعل ، فكلمتا اشتاق ووقع له البكاء ، عاود تلك الضمة فسكنت نفسه ، إرثاً وهدبً له حتى تطمئن الجملة العربية وتسكن أركانها ، فله درها لغة ما أنبلها وأكرمها ، ثم إذا أردت أن تنيب عن الفاعل ، فلك أربع خيارات : المفعول به ، والظرف ، والجار والمجرور ، والمصدر . هذه الأربعة أشياء يمكن أن تأخذ محل هذا الأب المفقود ، فاخترتوا واحد فيه صفات الأب ورحمته وقربه من تلك المجموعة وهو المفعول به دون سواه . قال النحاة : إذا وجد المفعول امتنعت إنابة غيره¹¹⁹ . لأنه لا أشبه بالفاعل من المفعول ، حتى كأنهما من بابة واحدة¹²⁰ ، فإذا وجد المفعول ، فلا مجال لإنابة غيره ، وإذا لم يوجد صح أن يناب الظرف ، مع أن المفترض عقلاً أن يكون الجار والمجرور ؛ لأن الجار والمجرور عندنا في موضع المفعول به ، تقول : مررت بزيد وعمراً فتعطف على المجرور بالنصب كأن محل المعطوف عليه وإن كان جراً إنما هو النصب ، وكذلك فإن كل مجرور إذا نزع خافضه نصب فكانه إنما يعاود أصله ويؤوب لمحتده . لكن الجار والمجرور فيه عامل لفظي وهو البناء ، وستجعل الفعل عاملاً في محله ولن تظهر عليه علامة ماناب عنه وهي الضمة فتتساع الفرق بينه وبين المفعول به فأدني في هذا الموضع الظرف بدلا منه ، لأن الظرف داخل في جملة المفاعيل ويسمى المفعول فيه بل هو أحد مدلولي الفعل إن كان زماناً ويستلزمه الفعل إن كان مكاناً ... كل هذا من مرشحات التثنية به في أحقية النيابة عن الفاعل ، فإن قيل : أن المفعول المطلق وهو المصدر أقرب من المفعول فيه ، إذ أن مدلوله ومعناه هو عين مدلول عامله ويدخل مع المفعول به في كونه فردا من جنس المفاعيل الخمسة فلماذا لم يقدم هو بعد المفعول به ؟. والجواب : أن المفعول المطلق ليس فيه ثمرة ، أو زيادة فائدة على ما في فعله ، فإن مدلوله هو مدلول الفعل ، وحمل الكلام على معنى جديد أولى من حمله على تأكيد سابق إن أمكن ، كما هو مقرر ، بينما الفائدة في الظرف أعظم وأبلغ ، فلما كان ذلك كذلك ، جعل الظرف في المرتبة الثانية بعد المفعول به ، وجعل بعد ذلك الجار والمجرور ؛ لأنه أقرب ما يكون إلى الظرف ، فمجموعهما يعرف عند العلماء بشبه الجملة ، وآخر المصدر ؛ لأنه مُتَضَمَّنٌ أصلاً ، فكانه تكرر ، ولهذا كان يصرح

العلماء : بأن تأسيس فائدة جديدة أولى من تكرارها¹²¹ . فلما كان في المحل الأدنى جعل في الموضوع الأبعد ، فتأمل واحتشد ، وفوق سهام عنايتك واتند ... فإنك ملفٍ خيرًا إن شاء الله ! وههنا تنبيه وهو أنك قد تجد في بعض كتب القوم من يخالف هذا النظر ويناهض ذلك الترتيب ، بل ربما وقع ذلك في كتب العالم الواحد فيقدم في كتاب شيئاً يؤخره في كتاب آخر كما فعل ابن هشام في الموضوع الذي نحن بصدده خاصة وهو (أولى الأشياء بالنيابة بعد المفعول به) فجعله في القطر : المفعول فيه والظرف ، في حين جعل المصدر والمفعول المطلق هو الذي يأتي بعد المفعول به وذلك في كتابه (شذور الذهب) في حين أنه جعلها في القطر رابعاً !!

فهل هذا تدافع وتناقض؟! أو ناسخ ومنسوخ؟! والجواب : تحقيق هذا هو العلم عينه ، والمزية روحها ، وذلك أن كل كتاب منها مؤلف لطائفة مقصودة به طبقة ، ويؤكد ذلك فرق ما بين القطرة والشذرة ، وتبيان ما بينهما حججا وسعة فكأنه صنف القطر لصغار طلبة النحو والشذور لشداته والمتفوقين فيه .

فإن قيل فإنه ينشأ من مثل هذا التصور نوع حزونة وصعوبة ربما صدف عين الناظر ، وقمرت نفس الراغب عن العلم ومتابعة الطالب ، قلت : الحزونة في طلب العلم وإدراكه ليس مما يستنكر حتى يُدفع ، ولا مما يُستغرب حتى لا يقع ، وإنما هي دليل النفاسة والنبيل ، والنباهة والشرف ، ألا ترى إلى كل نفيس علق به قلب أو طلبه متطلب فإنك لن تجده إلا وقد استعصم عنك ، وامتنع نسيباً منك ، حتى يُراز طالبه ، ويمتنح صاحبه ، فإن كان له أهلاً اندفع إليه جملة ، وانحط بين يديه رأساً وإلا امتنع منه ، وشمس عنه .. وحتى التكاليف المشروعة والتعاليم المفروضة سبقت بما ظاهره المشقة وليس كذلك عند الاستبصار ، وإنما هو الروز والاختبار ، فالصلاة بالوضوء وربما صادف قُرًا ، والصوم بالتحري والحساب والترائي ولعله يوافق حرًا ، والحج بالسفر وكفى به امتحانًا ، والزكاة بما أودع في النفس من حب المال وشهوة التملك ، وهكذا دواليك . كل ذي بال لا بد أن يحاط بما يجعل الحصول عليه بعدُ لذة مضاعفة ، وبغية مناصفةً ، نصفُ قطع المشقة ، ونصف حصول المرغوب ، والظفر بالمطلوب ، يقول الشيخ عبدالقاهر الجرجاني : " وليس الذي يعرض بسبب هذا الحرف من الدقائق والأمور الخفية بالشيء يدرك بالهويناء¹²² فتعقل وأحرز . الصعوبة في النحو موجودة ، وليس في إنكارها رفعة

لشأن النحو، بل ربما كانت هي مكمّن المزية ومحل الجلالة منه؛ لأن هذه الصعوبة هي النكهة في النحو ، التي تجعل له نوقا عند من عرفه أحلى من شهد النحل وما الصعوبة إلا الشوكة التي تحمي ذلك الشهد من أن يشتره فارغ بطل، وقد رأيت ابن هشام بعض الأحابيين يتعمد التصعيد¹²³ ؛ لأنه يريد أن يقول : أن الذي هو حاضر بين يدي أهل للعلم

. فيوعر له في العبارة , فلا ينتفع بها البليد ؛ لأنه ليس لها بأهل ، ويصبر عليها الفطن .
رجاء بركاتها { فإن مع العسر يسرا } [الشرح 5] , يقول الأعمش : وضع العلم في
غير أهله كمن يعلق الدر في أعناق الخنازير¹²⁴ ، وفي الأثر أن " عيسى بن مريم قام في
قومه فقال : يا بني اسرائل لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ، ولا تمنعوها من
أهلها فتظلموهم ... " ¹²⁵

فلهذا إذا وجدت موضعاً صعباً , فاحتفل له , وانبسط إليه , وافتح له أسابريك ، واحشد له
أضابريك , فثم العلم ثم العلم ، وما علمتُ هذا إلا أصدق شاهد ، وأنبل قائد ، على فضل
وشرف ما أنت بصدده يا قاصد النحو ، واعتبر باحتفاف الجنات بالمكاره والمشقات ، فما
أنت إلا في جنة ، ولا تحاول إلا فردوساً ، متع الله بك ومتعك والحمد لله رب العالمين .

الخاتمة

- الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، أما بعد ... فقد وصلت بحمد الله إلى ختام هذا البحث ، وأتيت على ما رغبت في بيانه منه ولا بد أن أجمل بعض أظهر ما وصل إليه من نتائج وما يوصي به من أفكار :
- 1- التجديد حركة ينتجها العلم الحي حتماً ، ولا يتوقف في البحث عنها لأنها سر وجوده ، وجوهر نمائه وتداوله .
 - 2- آفة التجديد وقواتله آتية من السهو عن حقيقته وحسن تصوره ، فينجم عن ذلك مسلكا الجمود والانخلاع .
 - 3- من أهم ما يدعو إليه البحث أن تجديد كل مرحلة لا يجب أن يكون هو عين تجديد السالف له ، بل يكون بالتماس أضعف نقطة وأخطر منعطف وصل إليه أو به العلم إلى الاقتراب من نهايته أو انقراضه ، فيبدأ الاصلاح من هناك ، ويكون هو رأس الأمر وملاكه ، فما كان سبيل تجديد حقبة من حقبة الفن ، قد لا يصح أن يكون هو السبيل اليوم ، فمن يجدد النحو عند قوم لا يتكلمون العربية أصلاً ، ليس كمن يجدده عند قوم لا يتحدثون إلا العربية ، ومن يجدده عند قوم قد شاع فيهم أقاويل الحط منه والنيل من علمائه ليس كمن يجدده عند من يجله ويعلي أقدار مشيخته
 - 4- النسبية في فهم العلم وتقديمه يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار .
 - 5- لا يلزم من اتفاق المصطلح الاتفاق في المضامين والأهداف .
 - 6- توقيير السالف واحترام المتقدم الراسخ المشهود له من الأمور التي لا يتم الأمر وينتظم الشأن في كل علم إلا بالتوفر عليه .
 - 7- التفريق في الدرس النحوي بين أصوله وقوانينه وبين الاحتجاج والاعتلال لتلك الأصول .
 - 8- تجديد النحو إنما هو بإغزار الملكة ، وكثرة العناية بطرائق الاعتلال ، وحسن الاحتجاج ، دون مساس بالأصول والثوابت .
 - 9- النحو شرف العربية فيجب أن يراعى هذا النسب الشريف في طلبه ، مادة ، ومنهجاً ، وكتاباً ، واستاذاً .
 - 10- الملكة النحوية رهينة المنهج الجيد والمعلم الحاذق .
 - 11- الدرس اللغوي على وجهه الصحيح من أهم مسالك الانتساب لأهل الفهم السليم من السابقين واللاحقين .

12- التسرع لبلوغ أقاصي العلوم أول سبل إفسادها ، وانحلال حقائقها في نفوس الطالبين لها .

13- ضعف اللغة وعلومها نتيجة وليست سبباً لضعف الفكر وانهزام الهوية .

14- النحو والعربية بعامّة تسير وفق القانون الاجتماعي القاضي بأن ما استحکم وضعه في الأمة بكثرة مزاولته قرّونا وبطول أزمان بقائه على صفة ما لا يكون تجديده بالافتلاع .

وغير ذلك من النتائج الموثقة في تضاعيف هذا البحث ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

الهوامش

- 1 - البقرة 32/31
- 2 - 12/1 ، وانظر ترتيب العلوم ، لساجقلي زاده /80 .
- 3 - فصلت / 43 .
- 4 - الاعتصام ، لأبي اسحاق الشاطبي 1 / 175 .
- 5 - السابق 1 / 175 .
- 6 - السابق 1 / 175 .
- 7 - الشعراء 70 - 73 .
- 8 - الشعراء 74 .
- 9 - النحل 9 .
- 10 - الرسالة 53 والاعتصام 3 / 257-258 .
- 11 - الاعتصام 3 / 265 .
- 12 - شرح الحدود النحوية لفاكهي / 46 .
- 13 - الإسراء / 110 .
- 14 - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم 1 / 483 .
- 15 - غافر - 26 .
- 16 - انظر في ذلك ما نقله الدكتور عبدالفتاح سليم في كتابه اللحن في اللغة عن سلامة موسى وغيره / 303 .
- 17 - علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي ، للدكتور : محمود السعران / 46 .
- 18 - العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث للدكتور : محمد حماسة / 27 .
- 19 - في النحو العربي نقد وتوجيه للدكتور مهدي المخزومي / 34-35 .
- 20 - الاعتصام 3 / 256 .
- 21 - الخصائص 3 / 312 .
- 22 - معالم السنن للخطابي 1 / 5 .
- 23 - اللغة العربية بين الفرد والمجتمع ، أوتو جسبرسن ، ترجمة د . عبدالرحمن أيوب / 156 .
- 24 - المعيار في التخطنة والتصويب ، الدكتور عبدالفتاح سليم / 6 .
- 25 - فصلت 42 .
- 26 - مراجعات في أصول الدرس البلاغي للدكتور محمد أبو موسى / 6-7 .
- 27 - لسان العرب 1 / 96 .
- 28 - القاموس المحيط 1 / 451 .
- 29 - السابق 1 / 351 .
- 30 - لسان العرب 1 / 96 مادة (فوت) .

- 31 - تقول العرب إذا شقَّ عليها أمر ، لقي منه فلان عرق القربة ، جمهرة الأمثال ، لأبي هلال العسكري 198 / 2
- 32- ومن أمثله (نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث) للدكتور : نهاد الموسى ، صدر عن دار البشير عمان 1987م
- 33 - كما نادى به الدكتور: شريف الشوباشي في كتابه : (لتحيا اللغة العربية : يسقط سيبويه) صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 34 - انظر : في النحو العربي قواعد وتطبيق ، للدكتور مهدي المخزومي ص 197 .
- 35 - انظر : اتجاهات تجديد النحو عند المحدثين ، دراسة وتقويم ، الدكتور : أحمد الصلاحي .
- 36 - انظر : في النحو العربي ، ص 15 .
- 37 - صحيح البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، الحديث رقم (3650) .
- 38 _ انظر هذه القاعدة الفقهية في : الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية ، للشيخ الدكتور : محمد صدقي / 178 وما بعدها .
- 39 - السابق .
- 40 - السابق .
- 41 - انظر : عيار الشعر / 11 .
- 42 - مقدمة ابن خلدون
- 43 - المراد بهم الأكثر خروجاً ونزوعاً ورغبة في الانبئات والانخلاع عن الأصول والمعهود .
- 44 - الرسالة ، باب البيان الخامس / 80 .
- 45 - مقدمته 2 / 446 .
- 46 - نقله ابن الأزرق في كتابه بدائع السلك في طبائع الملك 2 / 760 .
- 47 - كما كان يصرح به الدكتور : طه حسين ، وإبراهيم مصطفى حين أهدر الضمة والإعراب النيابي ، وإبراهيم أنيس ، وقد جمعت هذه الأطروحات في مقال على الشبكة العنكبوتية ، موقع الفصح اسمه (حول الإعراب) فليراجع .
- 48 - كما في تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة / 20 و_الصاحبي في فقه اللغة / 676 .
- 49 - يقصد علم النحو.
- 50 - الخصائص 3 / 312 .
- 51 - كما كان يصرح بذلك الدكتور : أحمد مكي الأنصاري .
- 52 - بيتان من الخفيف لعمر ابن أبي ربيعة في ديوانه .
- 53 - أي : لا ينصبون بإذن المضارع والحالة هذه .
- 54 - الكتاب 3 / 16 .
- 55 - يريد سيبويه .
- 56 أي كتاب سيبويه.
- 57 - انظر : نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، للشيخ محمد الطنطاوي ص 68 و 84 .
- 58 (abo mohammad) - بدل أبو محمد .
- 59 - بيت من الطويل بلا نسبة في الإفادات والإنشاءات للشاطبي ، وينسب لأبي علي الأمدي كما في معجم الأدباء لياقوت 128/3

- 60 - بيت من البسيط ، انظر المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي 2 / 455 .
- 61 - حتى كان من إفرزاته ما يعرف باللغة العربية .
- 62 - عبارة أثرت عن الإمام أبي حنيفة في شأن التابعين رضي الله عن الجميع ، انظر : سير أعلام النبلاء 6 / 401 ، وقد استغلت خطأ وحملت باطلاً عند كثيرين نسال الله العافية .
- 63- انظر :مقدمة كتاب أسرار البلاغة /23
- 64 -انظر:السابق /17-18 ومن الطريف قول الشيخ شاكرا في إحالته لموضع كلام البرقوقي:"اختصار لثرثرة طويلة من مقدمة الشيخ البرقوقي. قلت : سبحان الله! كيف وقع الجزء من جنس العمل
- 65 - انظر كلام الشيخ محمد رشيد رضا بنصه ساقه الشيخ محمود شاكرا في مقدمة أسرار البلاغة/12
- 66 -مقدمة الشيخ محمد رشيد رضا على طبعته من دلائل الإعجاز صفحة/ط
- 67 -مقدمة الشيخ شاكرا على أسرار البلاغة/12
- 68 انظر السابق/17-30
- 69 - السابق/28
- 70- لسان العرب 1 / 47 مادة (قوت) .
- 71 - لي درس مرفوع على اليونوب وهو أول درس ضمن سلسلة التعليق على كتاب شرح قطر الندى وبل الصدى/ لابن هشام فنذت فيه بالدليل وأثبتت مرجوحية مسلك من يلزم المبتدئين من طلبة النحو بالأجرومية وأن السلف أنفسهم من تنبه لضرر المتون المغلقة وخطرها في تضيق عطن الشادي وانغلاق معقوله.
- 72 - انظر : العقد الثمين للذهبي 226 .
- 73 - انظر : معجم الأدياء ، ترجمة أبي الفتح ابن جني .
- 74 -سورة الكهف /28
- 75 - على قريب من قول الإمام علي رضي الله عنه ، انظر : شرح أحاديث من صحيح البخاري د. محمد أبو موسى / 13 .
- 76 - شعب الإيمان للبيهقي 4 / 131 .
- 77 - كما في الموطأ 1 / 205 .
- 78 _ الجامع في الحث على حفظ العلم/187
- 79 _ السابق/183
- 80 - انظر : مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم / طبعة دار الفكر العربي .
- 81 - انظر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي 2/238 ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم / المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت
- 82 - انظر : السابق 2/139 وما بعدها .
- 83 _ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع 1/192
- 84 - جامع العلوم والحكم / 284 .
- 85 - أعيان العصر وأعوان النصر 160 / 2 .
- 86 انظر:الموافقات 1/71

- 87 السابق
- 88 السابق 70/1
- 89 السابق 71-70/1
- 90 سورة الروم 60
- 91 - انظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة، حديث رقم 926 للشيخ الألباني .
- 92 - السابق .
- 93 - دلائل الإعجاز / 260 .
- 94 - ربيع الأبرار ، للزمخشري 3/ 241.
- 95 - الفوائد والأخبار والحكايات ، لابن حنبل الهمداني ص 137 .
- 96 - معجم الأدباء 1 / 59 .
- 97 - انظر : المقتصد في شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجاني 682/1 وأوضح المسالك 2 / 260 .
- 98 - لنظر : التكملة والذيل والصلة ، للحسن بن محمد الصغاني 1 / 355 و القاموس المحيط ، للفيروزبادي 1 / 163 .
- 99 - على خلاف بين النحاة على كون الإشارة هو الذال منفردة أم (ذا) مجتمعة ، وانظر تفصيل ذلك في : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، للسيوطي 1/ 258 .
- 100 - انظر : الايضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ، شرح وتعليق د. محمد خفاجي 2 / 81 وما بعدها .
- 101 - من نحو كتاب : العدول عن النمطية في التعبير الأدبي ، رؤية نقدية متممة ، د. عبدالموجود متولي .
- 102 سورة الصف 3
- 103 - دلائل الإعجاز 146 .
- 104 - انظر في : الدرر السنية 5 / 352 .
- 105 - منظومة أصول الفقه وقواعده ص 40 .
- 106 - السابق .
- 107 - انظر هذا الأصل في : فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح ، لابن الطيب الفاسي 2 / 1125 .
- 108 - من قواعد الدين وكتباته وهي مبنوثة في كتب الأصوليين ، انظر : الفوائد في اختصار المقاصد ، للعز بن عبدالسلام / 32 والوجيز في شرح القواعد الفقهية ، للدكتور : عبدالكريم زيدان .
- 109 انظر_ فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح لابن الطيب الفاسي 202/1
- 110 - سبق تخريجه .
- 111 - سورة طه 50 .
- 112 - انظر : مقدمة الشيخ محمد أبو موسى لكتابه : مدخل إلى كتابي عبدالقاهر الجرجاني / 4 .
- 113 - البيت من قصيدة في غاية الجمال لمحمد بن بشير الخارجي من شعراء العصر العباسي وهو في شرح ديوان الحماسة ، للمرزوقي 1175 والأغاني 14 / 40 .

- 114 - انظر : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب / 10 - 14 .
- 115 - كما في شرح قطر الندى ، لابن هشام / 32 وأكثر كتب النحو .
- 116 - السابق .
- 117 - ابن هشام .
- 118 - الفية ابن مالك ، باب تعدي الفعل ولزومه .
- 119 - انظر تفصيل ذلك في : شرح قطر الندى ، لابن هشام / 213 .
- 120 - انظر : الفواكه الجنية على متممة الجرومية ، للفاكهي / 194 .
- 121 - يقولون التأسيس أولى من التكرير ، وانظر في معناه : الكوكب الدرر للأسنوي / 406 .
- 122 - الدلائل / 327 .
- 123 - انظر مثلاً لذلك مسألة بناء المنادى / 229 وتقسيمه للنعته في شرح القطر وأواخر باب المفعول المطلق وحديثه عن النصب بأن المصدرية المضمره وما فيها من تفصيل .
- 124 - وقد كتب ابن عبد البر باباً في كتابه : جامع بيان العلم وفضله ، ترجم له بقوله : " باب آفة العلم وغائلته وإضاعته وكراهة وضعه عند من ليس بأهله " ، وفيه أيضاً نص كلام الأعمش 107/1 .
- 125 - رواه الإمام أحمد في باب الزهد (1714) وهو من مرويات أبي الحسن العسقلاني في كتابه (العلم والحلم) / 158 .

ثبت المصادر والمراجع

- 1- الإفتان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث ، القاهرة .
- 2- الاعتصام ، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ، تحقيق د . هشام بن إسماعيل الصيني ، دار ابن الجوزي ، الرياض ، السعودية ، الطبعة الأولى 1429 هـ .
- 3- أسرار البلاغة ، عبدالقاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه ، محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة .
- 4- الإفادات والإنشادات ، الشاطبي ، تحقيق : محمد أبو الأجدان ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى .
- 5- أعيان العصر وأعوان النصر ، ابن أبيك الصفدي ، تحقيق د . علي أبو زيد وآخرون ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1418 هـ .
- 6- الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، شرحه وكتب هوامشه : عبد . أ علي مهنا .
- 7- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، شيخ الاسلام ابن تيمية ، تحقيق وتعليق : د . ناصر بن عبدالكريم العقل ، مكتبة الرشد ، الرياض 1421 هـ .
- 8- ألفية ابن مالك ، دار السلام للطباعة والنشر ، القاهرة 1423 هـ .

- 9- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ابن هشام الأنصاري ، ومعه عدة السالك للشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت 1420 هـ .
- 10- الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، شرح وتعليق عبدالمنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الثالثة 1414 هـ .
- 11- بدائع السلك في طبائع الملك ، أبو عبدالله ابن الأزرقي ، تحقيق د . علي النشار ، دار السلام للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى 2007 م .
- 12- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت .
- 13- تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ، شرحه ونشره : السيد أحمد صقر ، دار التراث ، القاهرة .
- 14- ترتيب العلوم ، محمد بن أبي بكر المرعشي ، الشهير بساجقلي زاده ، دراسة وتحقيق : محمد إسماعيل السيد ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1408 هـ .
- 15- التكملة والذيل والصلة ، الحسن بن محمد الصغاني ، تحقيق : عبدالعليم الطحاوي ، مراجعة : عبدالحميد حسن ، مطبعة دار الكتب 1970 م .
- 16- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، أبو منصور الثعالبي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة .
- 17- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ضبطه وحققه : سالم البديري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- 18- جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبدالبر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- 19- جامع العلوم والحكم ، ابن رجب الحنبلي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط و إبراهيم باجس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثامنة 1419 هـ .
- 20- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، الخطيب البغدادي ، قدم له وحققه : د . محمد عجاج الخطيب ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة 1416 هـ .
- 21- الجامع في الحث على حفظ العلم ، ويضم أربع رسائل لأبي هلال العسكري والخطيب البغدادي وابن عساكر وابن الجوزي ، تحقيق : محمود الحداد ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1412 هـ .
- 22- الخصائص ، أبو الفتح ابن جنبي ، تحقيق : محمد علي النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1408 هـ .
- 23- الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، مجموعة من علماء الدعوة ، تحقيق : عبدالرحمن بن قاسم
- 24- ديوان الشافعي ، تقديم ومراجعة : د . إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .
- 25- ديوان عمر بن أبي ربيعة ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه : د . فايز محمد ، دار الكتاب العربي

- 26- دلائل الإعجاز ، عبدالقاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه : أبو فهر محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة .
- 27- الرسالة ، الإمام الشافعي ، تحقيق الشيخ أحمد شاكر ، مكتبة الحلبي ، مصر ، الطبعة الأولى 1358 هـ .
- 28- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق الدكتور سليم النعيمي ، الجمهورية العراقية ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، إحياء التراث الإسلامي .
- 29- زينة العرائس من الطرف والنفائس في تخريج الفروع الفقهية على القواعد النحوية ، العلامة : يوسف بن عبدالهادي ، دراسة وتحقيق : الأستاذ الدكتور رضوان بن غريبة ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1422 هـ .
- 30- سير أعلام النبلاء ، الإمام شمس الدين الذهبي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة العاشرة 1414 هـ .
- 31- سلسلة الأحاديث الضعيفة ، الشيخ الألباني / مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، السعودية .
- 32- شرح أحاديث من صحيح البخاري ، دراسة في سمت الكلام الأول ، أ . د . محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1421 هـ .
- 33- شرح ديوان الحماسة ، المرزوقي ، تحقيق : غريد الشيخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1424 هـ .
- 34- شرح قطر الندى وبل الصدى ، ابن هشام الأنصاري ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان ، الطبعة الأولى 1417 هـ .
- 35- شرح الحدود النحوية ، جمال الدين الفاكهي ، تحقيق محمد الطيب الإبراهيم ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1417 هـ .
- 36- شعب الإيمان ، الإمام البيهقي ، تحقيق : محمد زغول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- 37- صحيح البخاري ، دار السلام للنشر والتوزيع ، الرياض .
- 38- الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، أبو الحسين أحمد بن فارس ، شرح وتحقيق : السيد أحمد صقر ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة .
- 39- العدول عن النمطية في التعبير الأدبي ، رؤية نقدية متعمقة ، د . عبدالموجود ممتولي ، مكتبة الرشد ناشرون ، الطبعة الثانية 2004 م .
- 40- العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث ، د . محمد حماسة عبداللطيف ، دار الفكر العربي .
- 41- عيار الشعر ، ابن طباطبا العلوي ، تحقيق : عبدالعزيز بن ناصر المانع ، دار العلوم ، الرياض 1405 هـ .
- 42- العقد الثمين في تراجم النحويين ، الذهبي ، تحقيق : يحيى مراد ، دار الحديث ، القاهرة .
- 43- الفوائد في اختصار المقاصد ، الإمام عز الدين بن عبدالسلام ، تحفيظ : إياد خالد الطباع

- 44- فيض نشر الانشراح من روض طبي الاقتراح ، أبو الطيب الفاسي ، تحقيق : د . محمد فجال ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، الإمارات العربية المتحدة ، الطبعة الثالثة 1423 هـ .
- 45- الفوائد والأخبار والحكايات ، الحسن بن حمان ، تحقيق : د . عامر حسن صبري ، دار البشائر الإسلامية ، الطبعة الأولى 1422 هـ .
- 46- الفواكه الجنية على متممة الجرومية ، الفاكهي ، تحقيق : د . عماد علوان العبادي ، دار الصميعي للنشر والتوزيع ، الرياض ، السعودية ، الطبعة الأولى 1429 هـ .
- 47- القاموس المحيط ، الفيروزآبادي ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان 1403 هـ .
- 48- الكوكب الدرّي فيما يتخلص على الأصول النحوية من الفروع الفقهية ، جمال الدين الأسنوي ، تحقيق : محمد حسن عواد ، دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى 1405 هـ .
- 49- كتاب العلم والحلم ، أبو الحسن العسقلاني ، تحقيق : د . عامر حسن صبري ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مملكة البحرين ، الطبعة الأولى 1436 هـ .
- 50- لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1412 هـ .
- 51- اللحن في اللغة مظاهره ومقاييسه ، د . عبدالفتاح سليم ، دار المعارف 1989 م .
- 52- اللغة بين الفرد والمجتمع ، أتو جسبرسن ، ترجمة : د . عبدالرحمن أيوب ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة 1954 م .
- 53- لتحيا اللغة العربية : يسقط سببويه ، أ.د. شريف الشوباشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- 54- مدارج التعلم بين التأسيس واستكمال التكوين ، السعيد صبحي العيسوي ، دار الميمان للنشر والتوزيع ، الرياض ، السعودية ، الطبعة الأولى 1438 هـ .
- 55- مدخل إلى كتابي عبدالقاهر الجرجاني ، أ.د. محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1418 هـ .
- 56- مراجعات في أصول الدرس البلاغي ، أ.د. محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1426 هـ .
- 57- المستطرف في كل فن مستظرف ، الإيشيبي ، شرحه ووضع هوامشه : د. مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- 58- مسند الإمام أحمد ، شرحه وصنع فهارسه : الشيخ أحمد شاكر .
- 59- مقدمة ابن خلدون ، دار الفكر .
- 60- المقتصد في شرح الإيضاح ، عبدالقاهر الجرجاني ، تحقيق : د. كاظم بحر المرجان ، منشور وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية 1982 م .
- 61- معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1411 هـ .
- 62- المعيار في التخطنة والتصويب ، دراسة تطبيقية ، د. عبدالفتاح سليم ، دار المعارف 1991 م .

- 63- الموافقات في أصول الشريعة ، أبو اسحاق الشاطبي ، شرح وتعليق : الشيخ عبدالله دراز ، المكتبة الوفيقية ، القاهرة ، مصر .
- 64- الموطأ ، الإمام مالك بن أنس ، صححه ورقمه : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، مصر .
- 65- مراتب النحويين واللغويين ، أبو الطيب اللغوي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي .
- 66- منظومة أصول الفقه وقواعده ، العلامة : محمد بن عثيمين ، دار ابن الجوزي ، الرياض ، السعودية ، الطبعة الثانية 1430 هـ .
- 67- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، الشيخ محمد الطنطاوي ، تعليق : عبدالعظيم الشناوي و محمد عبدالرحمن الكردي ، الطبعة الثانية .
- 68- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث ، د. نهاد موسى ، دار البشير ، عمان ، الأردن .
- 69- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، الإمام السيوطي ، تحقيق : د. عبدالعال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية 1407 هـ .
- 70- الوجيز في القواعد الفقهية ، د. عبدالكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ناشرون .
الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية ، د. محمد صدقي البورنو ، مؤسسة الرسالة